شخصية الالهة الأم ودور الالهة «أنانا.عشتار»
في النصوص السومرية والأكدية

نائل حنون
ماجستير في الآثار القديمة

تمهيد :

هناك أهمية خاصة لموضوع « الالهة الأم » (Mother Goddess) في دراسة العقائد الدينية للحضارات القديمة بوجه عام ؛ وذلك لأن الالهة الأم جسدت قوى طبيعية معينة كانت اكثر تأثيراً من غيرها في حياة الأقوام القديمة . وهذا ما جعلهم يقرنون بها مقدرات وقابليات متميزة عما اقترن به سواها من الآلهة والالهات . ولعل خير ما يعبر عن الدور الخطير لتلك الإلهة في العقائد القديمة هوقدم ظهور عبادتها . اذ من المحتمل أن تكون قد سبقت ممارسة عبادة أي اله آخر . ولاسيما في وادي الرافدين . حيث تميل معظم الآراء الى الاعتقاد بأن عبادة الالهة الأم وجدت منذ ظهور اولى القرى الزراعية مثل قرية « جرمو » – من العصر الحجري الحديث (Neolithic) –كما وجدت في عدد من مواقع عصور ماقبل التاريخ الأخرى مثل « حسونة »–العصر الحجري المعدني القديم– و« تل الصوان » . ووجدت ايضاً في دورحلف–من العصر الحجري المعدني الوسيط–، وفي « تبه كورا » من الطبقات العائدة الى دور العبيد [1] . وقد كان الدليل الذي استرشد به الباحثون على ممارسة عبادة الالهة الأم في تلك المواقع ، مقتصراً على ماكشفت عنه التنقيبات الآثارية من دمى انثوية تشترك–برغم اختلاف معاثرها–في حمل صفات تشير الى ما ترمز اليه تلك الآلهة من قوى الخصب والانجاب والولادة . ومن هذه الصفات البدانة وكبر الأثداء والأرداف وأبراز الاعضاء التناسلية او علامات الحمل . وبالطبع ليس في مقدورنا اليوم معرفة تفاصيل عبادة هذه الالهة . وفيما اذا كانت فعلاً الهة واحدة او مجموعة الهات عبدت كل واحدة منهن في مستوطن واحد او أكثر من مستوطنات عصور ما قبل التاريخ ؟

أما في العصور التأريخية ، فبأمكاننا تكوين صورة واضحة عن شخصية الالهة الأم وتفاصيل عبادتها ومقدراتها ؛ وذلك بالاستناد على الدليل الوافر الاهمية والذي يتمثل بالنصوص الكتابية . سواء كانت السومرية منها أم الأكدية . وكان من البديهي ان تستمر فكرة الالهة الأم في العصور التأريخية – لما تحمله من أهمية وخطورة – وتأخذ أبعاداً جديدة تتناسب والتطور الذي شمل جميع عناصر الحضارة . وينبغي أن نضع في اذهاننا انه من غير المعقول أن تستمر هذه الفكرة في اشغال نفس الحيز الذي شغلته في معتقدات عصور ماقبل التاريخ ، وتعليل هذا أنها كانت ترمز الى قوى وظواهر مادية اختلفت درجة تحكمها وتأثيرها في حياة السكان بفعل تطور وسائل معيشتهم وأساليب الانتاج عندهم . اذ جعلهم ذلك التطور أكثر قدرة في التأثير بالطبيعة من اسلافهم الذين عاشوا في عصور ماقبل التاريخ . وتبعا لذلك كان لابد أن تتطور عقائدهم وافكارهم عن تلك القوى والظواهر . وبالتالي تختلف نظرتهم الى كائنات ما وراء الطبيعة (الميتافيزيقية – أي الآلهة –) التي تجسدها . وكان الدافع الاساسي لهذا التطور هو تغير احساسهم بقدراتها في التأثير بحياتهم . ان هذا التطور والتغير في الحياة والافكار الذي حصل بفعل تقدم الحضارة

في العصور التأريخية في العراق القديم . يقتضي – ونحن بصدد دراسة جانب مهم من جوانب الفكر الديني في تلك العصور – ان نتجنب التسرع . ونحاول قدر الامكان الالتزام بالاسلوب الاكاديمي العلمي من أجل الاستفادة . على الوجه الأمثل . من الادلة الكتابية المتوفرة لدينا وليتسنى لنا بعد أن نتعمق في تحليلها وادراك مضامينها . الاحاطة بمختلف جوانب الموضوع . وهذا بدوره سيمكننا فيما بعد من دراسة الدليل الاثري . من تماثيل ومنحوتات بارزة ومشاهد فنية . على ضوء ماسوف نستخلصه من دراستنا للدليل الكتابي . الذي يشمل النصوص السومرية والأكدية . والذي سيكون موضوع بحثنا هذا .

لقد ظهرت سابقاً عدة بحوث ودراسات تناولت موضوع الالهة الأم في العصور التاريخية . الا أنها كانت في معظم الأحيان تميل الى اعتباره تكملة تجري في سياق واحد مع معتقدات اقوام عصور ماقبل التاريخ . ولذا فقد طُبع معظم تلك الدراسات بطابع الارتجال والتكهن . مما أدى الى اتجاهها نحو الاعتقاد بكون الالهة « انانّا / عشتار » هي الالهة الأم عند سكان العراق في العصور التاريخية . أو بعبارة أخرى أنها أقرب من غيرها لوراثة مركز الالهة الام في عصور ماقبل التاريخ . وكذلك وراثة مسؤولياتها ووظائفها . بالاستدلال من بعض الواجبات الانثوية التي اقترنت بالالهة « انانّا / عشتار » في بعض النصوص المسمارية . وعلى هذا المنوال أخذت تلك الدراسات التي تناولت الموضوع ، بتفسير كل ما يخص الالهة « انانا» وتفاصيل عبادتها ودورها في الديانة العراقية القديمة وهذا مانرفض التسليم به لاسباب سنأتي على ذكرها أثناء مناقشتنا لأهم الآراء التي طرحت فيما سبق بخصوص موضوع بحثنا هذا . وسنبين في حينه مآخذنا على تلك الاراء ومن ثم نعرض رأينا في الموضوع مع الادلة التي تسنده .

والحقيقة انه اذا ما صحت النتائج التي سنخلص اليها من هذا البحث . فمن الضروري اعادة النظر على ضوئها في الكثير من الاستنتاجات والآراء التي لم تزل سائدة بين الباحثين حول موضوع الالهة الأم . وطبيعةعبادة الالهة « انانّا / عشتار » . وما يتصل بها من أفكار مثل زواجها من الاله « دموزي / تموز » . وبالتالي تفسير العقائد الخاصة بهذا الاله . والى ما سوى ذلك من مواضيع .

وبالامكان تحديد ماهدفنا اليه من هذا البحث بالشكل الآتي :

١- تعيين الالهة التي اعتبرت الالهة الأم في عقائد سكان العراق القدماء ابان العصور التاريخية . وتوضيح دورها في تلك العقائد . بالاستناد على ما ورد في النصوص المسمارية .

٢- تحديد الدور الحقيقي والكامل للالهة « انانّا / عشتار » في عقائد اولئك السكان . وشرح المكانة التي احتلتها بين الآلهة في نظرهم ، وعلاقة ذلك بزواجها من الاله « دموزي » .

وأخيراً يجدر ان نشير الى ان دراستنا هذه يمكن اعتبارها بمثابة مقدمة لدراستين تجري كل منهما في مجال خاص بها . الاولى هي دراسة ما يخص كل من الالهة الأم والالهة « انانّا » في فنون حضارة العراق القديمة دراسة شاملة على اسس جديدة تتمثل فيما سنتوصل اليه من نتائج . والثانية تشمل دراسة المعتقدات الخاصة بالاله « دموزي / تموز » . بعد ان نكون قد استوفينا في هذا البحث دراسة مايتعلق بزوجته الالهة « انانّا » ومكانتها في العقائد القديمة .

مفهوم « الالهة الأم » :

لقد كان الاعتقاد بالالهة الأم شائعاً بدرجة واسعة بين الديانات المشركة القديمة والمقصود منه تفريد الهة انثى أو تمييزها ، لتكون في مصاف الآلهة الرئيسة او الخالقة كما يطلق عليها . وذلك تمييزاً لها عن سائر الآلهة الأخرى في أية ديانة من تلك الديانات . ويرجع سبب هذا التمييز الى دور الآلهة الرئيسة في الخلق والتكوين وتسيير شؤون الحياة المختلفة . ويتوجب ان تكون للالهة الأم القدرة او الفعالية في احد الأمرين الآتيين ، أوكلاهما . وهما :

أولاً : الخلق–وفيه تتحقق القدرة على الابداع ومنح الحياة .

ثانياً : الانجاب–وتتجلى به قدرة الالهة الأم على حفظ استمرارية الحياة . كما تثبت به صفة الامومة الملازمة لها .

وسوى ذلك يفترض ان تتوفر في الالهة الأم واحدة أو أكثر من الخصائص الثلاث الآتية :

١- كونها الاصل في الكون او المظهر الاول فيه . وما المظاهر الكونية الأخرى سوى تفرعات عنه .

٢- دورها المؤثر في ادامة حيوية الالهة الاخرى والتحكم بها . وكذلك حفظ حياة البشر وسائر المخلوقات بشتى السبل . مثل التأثير في خصب الطبيعة . وزيادة القدرة على التكاثر . والمساعدة على نمو الاطفال وارضاعهم .

٣- وفي اقل الاحتمالات ، تكون الالهة الأم هي زوجة الاله الرئيسي في مجمع آلهة أية ديانة . وبذلك فان مكانتها تستمد اهميتها من مكانة زوجها ومركزه .

والآن نجد أنفسنا بمواجهة السؤال الرئيسي في هذا البحث. عمن تكون الالهة الأم في عقائد سكان العراق القدماء ، من بين العديد من الالهات اللواتي عبدهن أولئك القوم . وهو السؤال الذي سنحاول الاجابة عليه من خلال البحث .

هل كانت « انانّـا / عشتار » الالهة الأم في حضارة العراق القديم ؟

ان الاعتقاد الشائع اليوم بين الكثير من المختصين وغير المختصين ، بخصوص الالهة الأم في عقائد حضارة العراق القديمة ، هو أنها كانت متمثلة بشخصية الالهة « أنانّـا / عشتار » . واستمر هذا الاعتقاد الى درجة كاد معها أن يكون من المسلمات في العديد من البحوث التي تناولت موضوع الالهة الأم في العراق القديم ، حتى أن معظم الباحثين الذين اخذوا به ، لم يجدوا حرجاً من عدم اهتمامهم بالبحث عما يؤيد صحة هذا الاعتقاد . وان آثر بعضهم القول به مع شيء من الحذر ، الا أننا رغم ذلك لم نجد من يتصدى لاثباته أو نفيه بالتحليل الدقيق والادلة الواضحة . لقد آثرنا – من اجل الوصول الى قناعة مقبولة – حصر الدراسات التي ذهبت بشكل أو بآخر الى الاعتقاد بكون (انانّا / عشتار) الالهة الأم في عقائد حضارة العراق القديمة . ورأينا أن نناقش أهم ماطرحه كاتبوها بخصوص ذلك . قبل أن نأتي على عرض فكرتنا عن شخصية الالهة الأم وفق الادلة التي نملكها . على انه تنبغي الاشارة الى ان مناقشتنا لاراء اولئك الباحثين . ليس المقصود منها الانتقاص من اهميتها ، وانما هي وسيلة للوصول الى رأي معقول ومسند بالادلة الواضحة والمقبولة .

ان أول الآراء التي نتصدى لعرضها ومناقشتها هنا ، تعود الى الاستاذ « أدوارد جيمس » (E.O. James) ، الذي بحث في الديانات القديمة ، وعلى وجه الخصوص في موضوع « الالهة الأم » ، حيث يذكر بخصوص عبادتها في بلاد وادي الرافدين بأنها :

« عرفت تحت القاب متعددة مثل « ننخرساك » (Ninhursag) « ماخ » (Maḫ) ، « انانّـا / عشتار ، و« ننتو » (Nintu) او « آرورو » (Aruru) . [٢]

ثم انه يورد بعد ذلك الدليل على ان « ننخرساك » هي الالهة الأم . ويتمثل هذا الدليل في لقبها المشهور « أم البلاد » (وبالسومرية = ama kalamma) . ويستمر الاستاذ « جيمس » في معالجة الموضوع بالتحول مباشرة الى الحديث عن الالهة « انانـا » وعلاقتها بزوجها الاله « دموزي » [٣] .

كان ذلك رأي الاستاذ « جيمس » ومنهجه في بحث الموضوع . ونحن نرى فيه التباساً قد يؤدي الى خطأ ينبغي تجنبه ؛ ففي النص الذي اوردناه قبل قليل . حُشر أسم الالهة « انانـا / عشتار » بين جملة القاب تعود كلها الى الهة اخرى غير « انانا » . الا وهي الالهة « ننخرساك » التي عرفت في النصوص المسمارية بلقب « ماخ » ، « ننتو » [٤] ، و« آرورو » [٥] . واذا كان الاستاذ « جيمس » قصد من قوله ذاك ان « انانّـا / عشتار » كان لقباً من القاب الالهة « ننخرساك » . فهذا مرفوض اطلاقاً ؛ لأننا نعرف بأن « انانّـا » و« ننخرساك » كانتا الهتين بشخصيتين منفصلتين . لكل منهما دورها الخاص بها في العقائد والأساطير العراقية القديمة .

ونورد هنا دليلاً بسيطاً على ذلك يتمثل فيما ورد في الاسطورة السومرية . المعروفة بعنوان « انكي وتنظيم الكون » [٦] . وهي تكاد ان تكون الاسطورة الوحيدة التي يرد فيها ذكر هاتين الالهتين معاً . حيث نعلم من هذه الاسطورة ان الالهة « انانا » قد أبدت تذمرها وغيرتها الى الاله « انكي » (أيا) بسبب عدم حصولها على سلطات واسعة مثل التي اختصت بها الالهة « ننخرساك » (آرورو) وسواها من الالهات الارفع مكانة من « انانّا » . وهكذا يكون من غير الصحيح قول E.O. James . فيما اذا اراد به ان « انانا عشتار » مجرد لقب من القاب الالهة « ننخرساك » التي توضح الاسطورة بأنها كانت تفوق « انانّا » مكانة وان الاخيرة كانت تتحامل عليها وتشعر بالغيرة منها . اما اذا كان يريد من ذلك القول ان « انانّا » قد شاركت « ننخرساك » في مقام الالهة الأم . فهذا ما لا يمكن اثباته . اذ انه في الوقت الذي قدم دليله على كون « ننخرساك » الالهة الأم مستمداً اياه من لقبها الذي أوردناه آنفاً . لا يستطيع ان يقدم أي دليل يؤيد صحة رأيه بخصوص « انانـا » . وذلك لسبب نراه بسيطاً جداً . يتمثل في انه لايملك مثل هذا الدليل –وهذا ماسنوضحه بتفصيل اكثر على الصفحات القادمة – . ثم اننا لو عدنا الى المثل الذي اوردناه عن شعور « انانا » بالغيرة من الالهة « ننخرساك » . لادركنا أنه ليس هناك ثمة داع للغيرة فيما لوكانت تشاطر الأخيرة في منزلتها ، كما أنه ليس مقبولاً القول باشتراكهما في دور واحد . في الحين الذي لايتوفر فيه أي نص مسماري يشير ، من قريب أو بعيد الى أي صلة مشاركة بينهما . ونضيف أخيراً أنه ربما كان بالامكان قبول الرأي القائل بأن « أنانّا » كانت تنوب عن « ننخرساك » أو تقوم بدورها كالهة أم . فيما لوكانت هناك علاقة – مهما كان نوعها – بينهما . أي كما هو الحال في العقائد الاغريقية القديمة . حينما كانت كل من الالهتين « ريا » (Rhea) و« تيمس » (Themis) تنوبان عن امهما الالهة الأم (الارض) التي عرفت باسم « كيا » (Gaea) أو « تيرا » (Terra) [٧] . غير أن هذه الحالة كانت خاصة بالعقائد الاغريقية . ولم تعرفها ديانة سكان العراق القدماء . وحتى لو كانت عرفتها بالشكل الذي ظهر في ديانة الاغريق . فلم يكن من المتوقع أن تشارك الالهة « ننخرساك » في مقامها الرفيع . سوى ابنتها الالهة « ننسار » (Nin-sar) التي ترمز

للنبات . والتي انجبتها من زواجها بالاله « انكي » (أيا)[8] . وليست الالهة « انانا » . الا أنه حتى هذا لم يحصل ، وظلت « ننخرساك » منفردة في دورها ، الذي تضمنته عقائد سكان العراق القدماء ، كما سنأتي على توضيحه فيما بعد ..

والواقع ان كل ماسردناه في مجال تبرير رفضنا لرأي الاستاذ (James) . يمثل جزءاً من السبب الذي يجعلنا نرفض الرأي الذي طرحه الاستاذ « هنري فرانكفورت » بخصوص « انانا » أيضاً . حين ذكر بأنها كانت تمثل . بطريقة أو بأخرى شكلاً أو مظهراً من مظاهر الالهة الام [9] . أما الجزء الاخر فيتمثل في معرفتنا للدور المحدد للالهة « انانا » في عقائد سكان العراق القدماء - وقد خصصنا لشرحه موضوعاً كاملاً في هذا البحث - ذلك الدور الذي لم تكن له أية صلة بدور الالهة الأم . ونضيف بصدد هذا الموضوع سؤالاً أخيراً وهو : هل يحق للاستاذ « فرانكفورت » أن يدلي بهذا الرأي . دون أن يهتم بتوضيح الصلة التي تربط بين انانا والدور الحقيقي للالهة الأم . أو دون ذكر السبب في اعتبار « انانا » شكلاً من اشكال الالهة الأم ، وهو سبب كان يجب أن يكون موجوداً ، أما في تكوين شخصيتها او في طبيعة وظائفها - فيما لو صح رأي الاستاذ فرانكفورت . . . ؟ . وعلى العموم فلنا عودة الى مناقشة هذا الموضوع أثناء حديثنا عن دور الالهة « أنانا » في الديانة العراقية القديمة .

وننتقل الآن الى مناقشة رأي آخر بخصوص موضوعنا . طرحه « ستيفن لانكدون » (S. H. Langdon) . حيث ذهب الى ان الرمز المسماري المجهول الاصل . الذي كان يكتب به اسم الالهة « انانا » بهذا الشكل ( ) . ما هو الا تطوير لهيئة الافعى الملتفة على عصا . ولما كان هذا الباحث يعتبر ان الافعى كانت رمزاً للقوى المولدة في الأرض . منذ العصور المبكرة . فانه من الطبيعي - وفق رأيه - ان تكون هذه الالهة هي نفسها الالهة « الأرض - الأم »[10] . ولسنا هنا بصدد مناقشة علاقة الافعى بقوى الخصوبة الارضية في عقائد سكان العراق القدماء . ولكننا نكتفي بالقول بأن الأفعى لم تكن في أي دور من ادوار حضارة العراق القديم رمزاً للالهة « انانا » . وانما كانت رمزاً خاصاً بآله لم تكن له صلة بتلك الالهة وهو ننكشزيدا أحد الهة العالم الاسفل

ويرتأي الاستاذ « لانكدون » ايضاً . بأن تلك الالهة « الأرض - الأم » كانت تعرف بالقاب عديدة تمثل كل مجموعة منها احدى مقدراتها وقابلياتها . فهي تدعى « أنانا » حين كان يقصد الاشارة الى كونها الاصل الانثوي للسماء . وذلك حسب رأيه بدليل المعنى الذي يتضمنه اسمها وهو « سيدة السماء » . وانها تعرف بلقب « ننتو » و « آرورو » و « ننخرساك » و « ننكراك » (Nin-karrak) حين يراد توضيح مسؤوليتها كالهة للولادة والطفولة . أما حين يشار اليها باعتبارها كوكباً سماويا فهي تعرف بالقاب مثل « نن-آنا-سينا » (Ninanasinna) و « ننسي-أنا » (Nin[illegible]anna) و « ننسينا » (Nin[illegible]a) و « نن-اسينا » (Nin-isnna) . وهي القاب تعني بشكل عام « السيدة السماوية » أو « نور السماء » . وأخيراً فأنها كانت باعتبارها مسؤولة عن الشفاء تعرف باسم « كولا » (Gula)[12] . كان ذلك هو رأي « ستيفن لانكدون » . الذي حاول فيه ان يستخلص من المعاني اللغوية للالقاب دليلاً عن معتقدات لها اهمية خاصة في الديانات القديمة . غير ان هذه المحاولة اقتضت منه اللجوء الى عملية دمج خاطئة بين القاب ثلاث الهات . لاترتبط احداهن بالأخرى أية علاقة . كما ان لكل منهن مكانتها ودورها الخاص بها فلو استثنينا الالهة « انانا » ذات الشخصية المستقلة استقلالاً تاماً . لوجدنا في حديث الاستاذ لانكدون تداخل غير مقبول بين القاب كل من الالهتين « ننخرساك » و « كولا » (والأخيرة هي الهة الشفاء . وكان مركز عبادتها في مدينة « ايسن ») . وذلك لأن الالقاب « ننتو » . « آرورو » و « ننسي-أنا »[13] تخص الاولى منهما . اما « ننكراك » فهو لقب يخص الالهة « كولا »[14] . وكذلك الحال بالنسبة للقب « نن-اسينا » .[15] وبالتالي فأننا نرفض رأي الاستاذ « ستيفن لانكدون » بخصوص الالهة الأم . بسبب استناده على اسس غير صحيحة .

ومن الباحثين الذين نتطرق الى مناقشة آرائهم بخصوص عبادة الالهة « انانا » . نذكر الاستاذ « صموئيل نوح كريمر » (S. N. Kramer) . فقد سبق له ان أشار بصراحة اكثر من مرة الى ان الالهة « ننخرساك » هي الالهة الأم في الديانة العراقية القديمة[16] . الا أنه يعود في موضع آخر ليشير الى ان الالهة « انانا » كانت هي المسؤولة عن « الحب . الانجاب والخصوبة »[17] . والحقيقة اننا اذا كنا نتفق مع الاستاذ « كريمر » في اعتبار « انانا » الهة للحب . بدليل اقتران اسمها بالحب والجنس في معظم النصوص المسمارية - كما سنوضح أثناء حديثنا عن قصة زواجها من الاله « دموزي » على الصفحات التالية - . الا أننا نختلف معه في اعتباره الخصوبة من مسؤوليات هذه الالهة . بسبب عدم توفر أي دليل على ذلك . اضافة الى عدم ورود اشارة واضحة عن علاقة « انانا » بخصوبة الطبيعة في النصوص التي تدور مواضيعها حول هذه الالهة . وهو ماسيتضح للقاريء حين قراءته للموضوع التالي من البحث . والذي خصص للحديث عن دور الالهة « انانا » في الديانة العراقية القديمة . وكذلك عن المسؤوليات المناطة بها . والتي لم تكن لها صلة بخصوبة الطبيعة . ونضيف الى ذلك كله ملاحظة عامة عن مسؤولية خصوبة الطبيعة . التي كانت من واجب

الاله « انكي » . ويساعده في ادارتها مجموعة من الآلهة الاناث والذكور . وهم كل من الالهين « انبيلولو » (Enbilulu) المسؤول عن الانهار والروافد . و « يشكر » (Ishkur) المسؤول عن الأمطار والغيوم والرياح التي تجلبها . وكل من الالهتين « اشنان » (Ashnan) المسؤولة عن الحقول والغلة وبيادر الحبوب . و « لخار » (Lakhar) المسؤولة عن الأغنام وحظائرها ومنتوجاتها . والى جنب هؤلاء الالهة نجد ايضاً الاله « سموكان » (Sumugan) الذي كان مسؤولاً عن الخصوبة في الجبال فقط [١٨] . وبالطبع لايوجد للالهة « انانا » مكان حتى بين هؤلاء الآلهة المساعدين للاله « انكي » . بسبب ابتعاد واجباتها عن مسؤوليات الخصوبة .

أما نسبة الاستاذ « كريمر » لمسؤولية الانجاب الى الالهة « انانا » فهي مسألة تستحق الاستغراب . اذ كيف يعقل ان نعتبر الالهة « انانا » مسؤولة عن الانجاب . ونحن نعلم يقيناً بانها تكاد ان تنفرد في كونها الالهة العاقر الوحيدة من بين كل الهات ديانة العراق القديمة ؟ ففي الوقت الذي نعرف فيه الكثير عن حبها وزواجها ومغامراتها الجنسية . الا أننا لا نملك ولو اشارة واحدة تنسب اليها أي نسل . سواء من الآلهة أم البشر . بخلاف اغلب الالهات الأخريات . اللواتي نعرف قصة امومتهن لبعض الآلهة أو البشر .

وهنا اود التوقف قليلاً عند هذه النقطة المثيرة بغية استجلاء ما يكمن وراءها . فكما سبق قوله نحن على أتفاق مع الاستاذ « كريمر » بخصوص اعتبار « انانا » الهة للحب والعلاقات بين الجنسين . اضافة الى بعض المسؤوليات الثانوية الاخرى التي سيرد الحديث عنها في الصفحات التالية . ونضيف هنا بانه قد عبر عن دورها الرئيس هذا خير تعبير في الرواية الآشورية لأسطورة « نزول انانا (عشتار) الى العالم الاسفل » . التي وردت فيها اشارة واضحة الى ان غياب تلك الالهة في العالم الأسفل . لم يؤثر سوى على العلاقات الجنسية بين الذكور والاناث من البشر والحيوان . حيث ورد في الرواية قول « بابسوكال » (Papsukkal) وزير الآلهة . وهو يخاطب الاله « انكي » بما يأتي :

« منذ ان نزلت « عشتار » الى الارض اللاعوده .
لم ينز الثور على البقرة . ولم يلقح الحمار الاتان .
وفي الحي لم يضاجع الرجل العذراء
فالرجل يرقد في مخدعه . والعذراء على جنبها » . [١٩]

ومما يجدر ذكره . ان كلا الروايتين السومرية والآشورية لهذه الاسطورة . تتفقان في عدم الاشارة الى أي أثر آخر لنزول الالهة « انانا / عشتار » الى العالم الاسفل . سواء على الطبيعة وخصوبة الانتاج أو على التوالد . وهذا أمر من غير المقبول تجاهله . وسنعود اليه فيما بعد لنعطيه حقه من المناقشة . والآن بعد ان أتضح لنا انتفاء صفة الانجاب عن الالهة « أنانا » . وثبت الاعتقاد بأنها كانت الهة للحب والعلاقات الجنسية عموماً . ينبغي بنا أن نفسر السبب الذي جعل العراقيين القدماء يتقبلون كون « أنانا » الهة للعلاقات الجنسية في نفس الوقت الذي لم يضيفوا عليها صيغة الأمومة . ولم ينسبوا اليها أي اله أو بشر . والواقع اني ارجع ذلك الى ميل طبيعي تشترك فيه المجتمعات الانسانية عموماً مهما كانت درجة تحضرها . الى الترفع عن اقران الامومة بكل ما يجللها من تكريم وتقديس بالوصال بما يعنيه من اندفاع غريزي واستغراق في حمى النشوة الجنسية . المنفصلة ظاهرياً عن كل ما يمت بصلة الى الأمومة . اضافة الى ما يحيط هذا الوصال وبالسعي اليه من تخفي وكبت وموانع محددة بدرجات مختلفة . لا تطيق المجتمعات الانسانية بشكل عام التخلي عنها . وذلك خوفاً من تدنيها الى مدارك يكون الحكم فيها للغرائز التي يشترك فيها الانسان مع الحيوان . وهو ما شعر به سكان العراق القدماء وافصحوا عنه بواقعية ملموسة في الرواية الآشورية للاسطورة . التي استشهدنا باسطرمنها قبل قليل . ومن الطبيعي ان لانتوقع منهم عكس ذلك حيث لازالت حتى المجتمعات المعاصرة تعاني من تحرج مشابه من الربط ما بين العلاقات الجنسية وارهاصاتها من جهة . وبين الولادة والأمومة من جهة أخرى . بالرغم من كل ما توصل اليه العلم الحديث من تسبيب لهذه بتلك . ومن ميل للسمو بالنشوة الجنسية لما يثمر عنها من حمل وانجاب وأمومة . وبالتالي لصلتها الوثيقة باستمرار الحياة على الأرض .

والرأي الأخير الذي نناقشه هنا . بخصوص عبادة « أنانا » وتمثيلها للالهة الأم في العراق القديم . هو رأي الدكتور فاضل عبدالواحد الذي ألف كتاباً عن عبادة الالهين « أنانا » و « دموزي تموز » أشار فيه الى أن قوى الخصب الالهية كانت متمثلة بالآلهة الأم التي عرفت في العصور التاريخية تحت اسم « أنانا » (عشتار) [٢٠] . كما انه يذكر في موضع آخر من كتابه ما يأتي :

« ومما لاشك فيه ان الآلهة « أنانا » (أو حتى ان-نن) كانت عند السومريين الالهة الأم بالدرجة الأولى بدليل أنها كانت تلقب بـ الأم (ama) في النصوص السومرية ذات العلاقة بعبادتها وطقوسها » [٢١]

ومن الغريب ان الدكتور عبدالواحد لم يشر في كتابه ذاك الى ان اللقب الذي اعتمد عليه في بناء رأيه . لم يكن مقتصراً على الالهة « أنانا » وانما كان يطلق بالدرجة الأولى على الالهة « ننخرساك » [٢٢] التي اصطلحت النصوص السومرية على الأشارة اليها - كما اوضحنا آنفاً - بأنها « أم البلاد » (ama kalamma) أو « السيدة الوالدة . أم البلاد » (Nintu ama kalamma) [٢٣] ونضيف الى

ذلك انه كان لقباً شاع اطلاقه على العديد من الالهات . حتى انه فقد ما يرمز اليه من مدلول لفظي . ما لم يكن هناك ما يسنده في العقائد الدينية والتراث الثقافي . ومن بين الالهات اللواتي لقبن به نذكر كل من « نمو » (Nammu) و « كشتن-انا » -Gestin anna [٢٤] . واطلق كذلك على الإلهات « آية » (Aja) « بابا » (Baba) او (باو Bau) . « كولا » (Gula) . « ننكال » (Ningal) و « ننليل » (Ninlil) [٢٦] . كما أطلق على الآلهات « كاتمدك » (Gatumdug) [٢٧] و « صربانيتم » (Sarpanitum) و « نانشة » (Nanse) [٢٩] . وأكثر من هذا نجد ان لقب « أما » قد أطلق حتى على الاله « دموزي » حيث انه عرف بلقب « أما-اشمكال » (Ama-Ushumgal) . ولا ريب في انه لو صح رأي الدكتور فاضل عبدالواحد لكنا قد انتهينا الى نتيجة غير مقبولة . وهي ان كل هؤلاء الآلهات وبضمنهن الاله المذكر « دموزي » . كانوا يمثلون الأم . بدليل حملهم للقب « الأم » (ama) -الذي يقترن بالالهة الأم على حد اعتقاد الدكتور عبدالواحد وهذه نتيجة أظن انه لا أحد يختلف معنا في انها نتيجة مرفوضة اطلاقاً .

والآن بعد أن اسهبنا في الحديث عن جملة الدوافع التي جعلتنا نرفض الرأي القائل بأن انانا هي الالهة الأم في عقائد سكان العراق القدماء . لابد لنا ان نضيف هنا دليلاً رئيسياً على عدم امكانية اخذ هذا الراي ولو مأخذ الاحتمال . وهذا الدليل يستخلص من انه كانت هناك الهة أخرى . اعتبرت بالفعل الهة اما عند العراقيين القدماء . تلك هي الالهة « ننخرساك » التي لاحظ القاريء الكريم تكرر اسمها اكثر من مرة على الصفحات السابقة مقروناً بدور الآلهة الأم . حتى من قبل بعض الباحثين الذين نسبوا خطأ ذلك الدور الى انانا . والآن لكي نتجه الى طرح التعميمات التي تفتقر الى الاسناد . ينبغي ان نقدم الادلة الواضحة والمقنعة بأن « ننخرساك » . التي لم تكن لها علاقة بـ « أنانا » . كانت هي الالهة الأم . محاولين قدر الامكان قطع الشك حول هذا الدور المهم في العقائد القديمة . وذلك في الموضوع الذي يلي .

« ننخرساك » : الألهة الأم في العراق القديم

باستطاعتنا تلخيص الادلة التي تثبت ان « ننخرساك » . كانت هي الالهة الأم في العراق القديم . ضمن ثلاثة مواضيع هي :
أولاً : الالقاب والنعوت التي اطلقت عليها . او التي وصفت بها.
ثانياً : المكانة المتميزة التي انفردت بها هذه الالهة . من بين سائر الالهات في المجمع الالهي .
ثالثاً : الدور الخطير الذي لعبته في الاساطير . وعلى وجه الخصوص الاساطير التي تدور مواضيعها حول خلق الآلهة او البشر او ولادتهم . والآن لنأت على تفصيل هذه المواضيع الثلاثة بالتتابع .

اولاً : في الحقيقة اننا لانكون مبالغين اذا قلنا ان جميع الالقاب التي لقبت بها الالهة « ننخرساك » كانت تفصح . بشكل او بآخر عن وظيفتها المهمة في العقائد الدينية والمكانة المتميزة بها والمستمدة من تلك الوظيفة . التي قصدنا بها وظيفة الالهة الأم . واننا اذ لانختلف مع غيرنا في عدم تحميل الالقاب اكثر مما يجب الا انه لايمكننا ان نتغافل عن ذلك التوافق بين كل القاب الالهة « ننخرساك » . فيما بين تلك الالقاب نفسها من جهة . وبينها وبين مكانة تلك الالهة ودورها في الاساطير القديمة من جهة أخرى . فلقب « ننتو » (Nin-tu[d]) مثلاً يعني حرفياً « السيدة الولود » . ولقب « ماخ » (Maḫ) يعني « العظيمة » او « السامية » . و « ننماخ » (Nin-maḫ) أي « السيدة العظيمة او السامية » . كما انها كانت تعرف بلقب آخر هو « آرورو » (A-ru-ru) الذي يعني حرفياً « واهبة النسل » [٣٠] . اما اسمها المشهور « ننخرساك » (Nin-hur-sag) والذي يعني حرفياً « سيدة الجبل » فنتلمس وراءه مغزى عميقاً يعود الى ماكان للجبل من صفة في الخصوبة وانتاج للغذاء . بسبب مايكسوه من نباتات وحشائش لايكلف جنيها ذات العناء الذي تكلفه زراعة المناطق الاخرى من الارض . وقد عبرت عن هذه الحقيقة تعبيرا واضحا الاسطورة السومرية « انكي وتنظيم الكون » التي ورد فيها ان الاله « انكي » قد غطاه بالحشائش الخضراء واطلق فيه القطعان الكثيرة الاعداد وجعله في عهدة الاله « سموكان » (Sumugan) الملقب بـ « ملك الجبال » [٣١] . كما ان هناك اسطورة وثيقة الصلة بالخصوبة الكامنة في الجبل واسم الالهة « ننخرساك » ذاته . وهي اسطورة سومرية يدور موضوعها حول الاله « ننورتا » (Ninurta) ابن الالهة « ننخرساك » الذي خاض . كما تروي الاسطورة . معركة عنيفة ضد شيطان المرض المسمى « آساك » (Asag) وتمكن من قتله . ولكن حدث بعد ذلك ان حلت سلسلة من الكوارث في بلاد سومر اذ ان « المياه الاولى » التي كانت موجودة في العالم الاسفل . حيث كان يقيم الشيطان « آساك » . قد صعدت الى الارض وطغت على المياه العذبة ومنعتها من ري المزارع والبساتين حتى تدخل الاله « ننورتا » وبنى سوراً عظيماً بهيئة الجبل . ليحمي بلاد سومر من تلك المياه المندفعة من تحت الارض . وتستمر الاسطورة فتروي انه بعد ان فعل « ننورتا » ذلك سمعت امه الالهة « ننخرساك » بانجازاته الباهرة فقررت . وقد فاضت مشاعرها بالعطف تجاه ابنها . ان تزوره وتتملى من طلعته . وحين فعلت ذلك اثارت امتناناً حاراً من لدن الاله « ننورتا » . مما جعله يطلق اسم « خرساك » (اي الجبل)

على السد الذي اقامه ليكون وقفاً لأمه الالهة « ننخرساك » . ثم انه بارك ذلك الجبال من اجل ان ينتج جميع انواع الحشائش والجعة والعسل ومختلف اصناف الاشجار اضافة للذهب والفضة والبرونز وكذلك الماشية والاغنام وسائر المخلوقات من ذوات الاربع [٣٢] . ونحن بالحقيقة حين نشير الى هذه العلاقة بين اسم الالهة « ننخرساك » وخصوبة الطبيعة لانريد القول بأنها كانت مسؤولة عن هذه الخصوبة بالمعنى الدقيق . وانما اردنا مجرد توضيح نظرة سكان العراق القدماء الى مايقترن بها من بركة وخير . بسبب من امومتها وقدراتها الخلاقة والعطاء المنتظر . اما العلاقة بينها وبين خصوبة الطبيعة فسنأتي على توضيحها فيما يلي من البحث .

ثانياً : والدليل الآخر عن كون « ننخرساك » هي الالهة الأم . نستخلصه من المكانة الخاصة التي تميزت بها من دون سائر الالهات الاخريات . حيث انها اعتبرت واحدة من بين الآلهة الرئيسة اوالخالقة ، فكما نعرف كان يأتي على رأس مجمع الآلهة في حضارة وادي الرافدين القديمة اربعة آلهة . عرفت بقدراتها على الخلق وانجاز الاعمال الهامة باشتراكها سوية في اغلب الأحيان . واول هؤلاء الآلهة الاله—السماء « آنو » (Anu) وبليه الاله—الهواء « انليل (Enlil) . الذي يكاد ان يكون هو الاول بينهم . بسبب من انكماش دور الاله « آنو » في الممارسات الدينية وابتعاده عن التأثير في الحياة الكونية واليومية . بمثل بعد مقامه—في اعلى السماء— عن الارض . وتأتي بعد الاله « انليل » في المكانة اخته [٣٣] الالهة « ننخرساك » . التي غالباً ماكان اسمها يقدم على اسم الاله الرابع — وهو الاله « انكي » (Enki) —في النصوص السومرية حينما تذكر الآلهة الاربع كلها لسبب او لآخر [٣٤] . ويرجح الاستاذ « كريمر » ان يكون اسمها بالاصل « كي » (Ki) [٣٥] اي الارض . ويوافقه في ذلك الاستاذ « ثوركلد ياكوبسن » الذي يرجع سبب التحول عن هذا الاسم للدلالة على الالهة « ننخرساك » . الى ماتوصل اليه سكان وادي الرافدين القدماء من فهم لقوة الارض وقدراتها بتجاربهم المباشرة . بحيث لم يعد من السهل على الاسم القديم لهذه الالهة البقاء . اذ جعلت تنازعه اسماء اخرى مبنية على صفات بارزة مهمة [٣٦] . والواقع ان نسب اسم « كي » (اي الارض) للالهة « ننخرساك » يكاد ان يسبب شيئاً من الالتباس فيما لو عرفنا ان اسم الاله « انكي » (En-ki) كان يعني حرفياً « السيد الارض » اذ انه من الطبيعي ان يبرز ثمة سؤال امام القاريء عن الداعي لاشتراك الهين انثى وذكر في الوهية الارض . وكيف يمكن تبرير انفصال شخصيتيهما المستقلتين احداهما عن الاخرى ؟ وهنا نجد في تحليل الاستاذ « ياكوبسن » مايغني عن اي تعليق حول هذا الامر حيث يقول : (ان الارض لقربها من الانسان . ولأهميتها في حياته من شتى النواحي . لم يكن من السهل ادراكها وحصرها ضمن نطاق فكرة واحدة . ولذا نراها في شكل « الارض الأم » . المعطاء التي تغدق النعم على الانسان . ونراها في شكل « ملكة الالهة » و« سيدة الجبال » . غير ان الارض ايضاً مصدر المياه . واهبة الحياة . في الانهر والقنوات والآبار—وهي المياه التي تنبثق عن بحر جوفي عظيم . فبصفتها منبع هذه المياه . كانت ترى في شكل مذكر . في شكل « ان—كي » . اي « سيد الارض » او اصلاً « السيد الارض » . فكان الثالث والرابع في ترتيب الآلهة هذان الشكلان للارض : ننخرساك وانكي . وهذه هي اخطر العناصر الكونية واسماها درجة . ولها النفوذ الاكبر في كل مافي الوجود [٣٧])

ونتيجة لهذه المكانة الخطيرة التي تميز بها . وبدرجة تكاد تقرب من المشاركة . الالهان « ننخرساك » و« انكي »—بعد الاله « انليل » . الرئيس الفعلي لمجمع الآلهة—فقد كان من الطبيعي ان تتحد قواهما . وذلك باقدامهما على الزواج وفق خيالات الفكر الميثولوجي القديم . حيث تروي احدى الاساطير السومرية . التي تجري احداثها في الفردوس الالهي السومري « دلمون » (البحرين حالياً) . ان الاله « انكي » قد تقدم طالباً الزواج من « ننخرساك » التي وافقت بعد ان ابدت بعض التمنع في اول الأمر . وكانت ثمرة هذا الزواج الالهة « ننسار » (Nin-sar) — كما سبقت الاشارة على الصفحات السابقة — الا ان الاله « انكي » هجر زوجته قبل ان تلد ابنتهما . بطريقة يشبهها الاستاذ « ياكوبسن » بانسحاب مياه الفيضان عن الارض قبل ظهور الخضرة منها [٣٨] .

وبعد ان شرحنا الادلة التي توضح مكانة الالهة « ننخرساك » بين الآلهة . يحق لنا ان نتساءل الان عن السبب الذي حدا بمعظم الباحثين . ولاسيما اولئك الذين اشر نا اليهم على الصفحات السابقة . بالتغاضي عن كل تلك الادلة الواضحة . وبالاتجاه نحو الصاق صفة الالهة الأم بـ « انانا » . التي لاتوازي مكانتها بأي حال من الأحوال مكانة الالهة « ننخرساك » . اذا لم اقل انها تقل عنها بكثير . ثم كيف تكون الالهة الام من غير الآلهة الاربع الرئيسة والخالقة الذين كانت الالهة « ننخرساك » هي الانثى الوحيدة بينهم ؟ ومن ياترى اكثر قرباً للعب الدور الخطير للالهة الأم في عقائد سكان العراق القدماء من الالهة « ننخرساك » . اخت الاله « انليل » رئيس مجمع الالهة الفعلي . وزوجة الاله « انكي » التي فاقته مكانة ؟

ثالثاً : وهنا يأتي الدليل القاطع على كون « ننخرساك » هي الالهة الأم . وذلك استناداً على دورها في الأساطير التي تدور مواضيعها على ما انجزته هذه الآلهة من أفعال مهمة . سواء كان ذلك بمفردها أم بمعية الآلهة الخالقة الرئيسة . اذ أنها كانت تظهر

في معظم تلك الأساطير بمظهر الأم أو الخالقة للعديد من الآلهة الذكور والأناث . ناهيك عن دورها الرئيسي في خلق الانسان . ونذكر بهذا المجال اسطورة سومرية ترجع الفضل في خلق الانسان (والشعب السومري على وجه الخصوص) والنباتات والحيوانات الى الإلهة « ننخرساك » والآلهة الرئيسة الثلاثة الأخرين . وموضوع هذه الاسطورة يدور حول الطوفان . ويرد في القسم الأول منها فيما يخص موضوعنا ما يـأتي :

بعد ان قام الآلهة «آنو» . «انليل» . «انكي» و «ننخرساك»
بخلق ذوي الـرؤوس السـود (الـسـومـريـيـن) .
نمـت الحشائش من الأرض بـوفـرة .
وخلقت حيوانات السهل من ذوات الأربع بمهارة .[39]

ونشير هنا أيضاً الى اسطورة سومرية اخرى يدور موضوعها حول خلق الانسان من التراب . من قبل الالهة « ننخرساك » . بعد ان قامت الإلهة « نمّو » (Nammu) أم الاله « انكـي » –كما تروي الاسطورة– بابلاغ ابنها بما كان يعانيه الآلهة الأخرون من جهد وتعب في الاعمال المكلفين بها قبل خلق البشر بعد ان كان لايبالي بذلك . واستجاب الاله « انكي » لذلك فطلب من الالهة « ننخرساك » ان تقوم بخلق البشر من التراب الذي هيأته امه « نمّو » لذلك الغرض . ولكن الاسطورة تستمر فتذكر انه بعد ان تم خلق البشر . دخل الالهان « ننخرساك » و « انكي » في مباراة بينهما ليثبتا فيها من هو أكثر قدرة على الخلق من الآخر . وكانت الغلبة في ذلك لـ « ننخرساك » التي قامت ايضاً – زيادة في التدليل على قدرتها بخلق ستة نماذج من الشخصيات البشرية . في نفس الوقت الذي فشل فيه الاله « انكي » حتى في خلق انموذج واحد اذ جاء هذا النموذج بعد لأي وعناء . ضعيفا وغير قادر على الكلام او الحركة . مما اثار غضب الالهة « ننخرساك » فوبخت الاله « انكي » توبيخاً قاسياً بسبب سوء تدبيره [40] .

وهناك اسطورة سومرية اخرى سبقت الاشارة اليها . وهي التي يدور موضوعها كما ذكرنا حول الفردوس الالهي عند السومريين . وتتضمن احداث هذه الاسطورة قيام الالهة « ننخرساك » بزراعة ثماني نبتات مختلفة الاصناف . وذلك بعد سلسلة من الفعاليات . تضمنت ولادة ثلاثة اجيال من الالهات . ولكن ما ان اينعت تلك النباتات حتى جاء الاله « انكي » والتهمها واحدة بعد الأخرى . فاثار بذلك غضب الالهة « ننخرساك » وجعلها تنطق بلعنة الموت عليه وفعلاً شارف « انكي » على الموت ولم ينقذه سوى رضوخ «ننخرساك» لتوسلات بقية الآلهة فقامت بانقاذه . بطريقة تتجلى فيها قدراتها الخلاقة التي لا تتوفر لغير الالهة الأم . اذ أنها اجلسته قرب فرجها –كما تروي الاسطورة – وانجبت له ثماني الهات لتقوم كل واحدة منهن بشفاء عضو من اعضاء الاله « انكي » الثمانية التي اصيبت بالمرض بسبب لعنتها عليه . وبذلك استرد الاله « انكي » عافيته[41] بعد أن اثبتت « ننخرساك » قدرتها الفائقة ليس على منح الحياة فقط وانما على سلبها أيضا حتى من الهة كبار مثل « انكي » .

وهناك بعض الأساطير الاكدية التي يدور موضوعها حول خلق الانسان من قبل الالهة الأم « ننخرساك » . وقد وصلت الينا احداهن بروايتين الأولى من العهد البابلي القديم والثانية آشورية . ويرد في هذه الاسطورة ان الآلهة قرروا في اجتماع عام لهم ان يطلبوا من الالهة الام « ننخرساك » . التي تعرف هنا بلقب « مامي » أو « ماما » ايضاً .

خلق الانسان الاول الذي تسميه الاسطورة « للّو » (Lullu) ليخدم كل الآلهة . ولما وافقت هذه الالهة على مطلبهم اخبرت الآلهة الخالقة الأخرى بعزمها على خلق الانسان . فاعلن الاله « انكي » بالنيابة عنهم رضاه . وامر بذبح احد الآلهة لتقوم «ننخرساك» بخلق الانسان من لحمه ودمه الممزوجين بالتراب . وتم ذلك بالفعل بعد سلسلة من المراسم [42] .

وقد وردت اشارة اخرى الى دور الالهة « ننخرساك في خلق البشر . وذلك في مقدمة الملحمة البابلية « اترا–حاسس » (Atra-Hasis) . التي ورد فيها ان الآلهة قرروا . بناءاً على اقتراح من الاله « انكي » . خلق البشر ليتحملوا اعباء خدمة الآلهة . فقاموا من اجل ذلك بذبح اله منهم يدعى « وي » (wê) او « وي–ايلا » (We-ila) وسلموه الى الالهة «ننخرساك» («ننتو») لتخلق البشر من لحمه ودمه [43] . ومما يجدر ذكره هنا هو ان الالهة « ننخرساك » كانت هي التي خلقت « انكيدو » كما ورد في « ملحمة كلكامش » ليكون غريماً لـ « كلكامش » بعد ان ضج اهالي الوركاء بالشكوى من مظالمه . وتصف الملحمة عمل « ننخرساك » التي اشير اليها هنا بلقبها الآخر « آرورو » . هذا كما يـأتـي :

وحالما سمعت « آرورو » ذلك
تصورت في لبها صورة لآنـو
وغسلت «آرورو» يديها واخذت قبضة من طين ورمتها في البرية
وفي البرية خلقت « انكيدو » . الصنديد . نسل (جوهر) « ننورتا » القوي .[44]

وهنا لابد لنا من الاشارة بشكل موجز الى صفة الانجاب والامومة للالهة « ننخرساك » حيث انها انجبت . بالاضافة الى ابنها الاله « ننورتا » وبنتيها الالهتين « اكيمي » (Egime) [45] و « نسار » عدداً كبيراً من الالهات اللواتي ترد الاشارة اليهن في اسطورة «الفردوس الالهي (دلمون)» . وهذا مايزيد من صحة رأينا في اعتبارها وحدها التي تقوم بدور الالهة الأم في عقائد حضارة العراق

القديم . ذلك الدور الذي يجعل الخلق والانجاب من مسؤولياتها . وليس من مسؤوليات الالهة اانانا كما افترض بعض الباحثين الذين سبقت مناقشة آرائهم . واخيراً فاننا يجب ان لا نغفل الاشارة الى ما كان يتباهى به الحكام السومريون الاوائل في نصوصهم الكتابية حيث ادعى عدد منهم بأنهم قد اطعموا بالحليب الطاهر من قبل الالهة « ننخرساك » [٤٦] . وحتى ذهب بعضهم في تباهيه الى الحد الذي ادعى معه بنوته لتلك الالهة . مثلما فعل الامير السومري « اياناتم » (Eannatum) [٤٧] . وهذه الاشارات كلها تؤيد القول بان الالهة « ننخرساك » هي الالهة الأم في العراق القديم . اذ من كانت اجدر بالادعاء ببنوتها أو بالتغذي على حليبها من الالهة الأم ؟ والواقع ان الوصول الى حقيقة كون « ننخرساك » هي الالهة الأم بالطريقة التي توصلنا اليها على الصفحات السابقة . تثير امامنا سؤالاً محدداً لا يمكن ان يكمل البحث دون الاجابة عليه اجابة واضحة . ذلك السؤال هو اذا لم تكن « انانا » ، عشتار هي الالهة الأم . أو الالهة المسؤولة عن الخصب والانجاب كما هو واضح لدينا الآن . فما هي حقيقة الدور الذي لعبته في الحضارة العراقية القديمة ؟ ثم كيف وصلت الى تلك الشهرة التي لم تصلها حتى الالهة الأم نفسها ، وما هو الدافع الكامن وراء ذلك ؟ هذا ما سنجيب عليه بالتفصيل في الموضوع التالي من البحث .

دور الالهة « انانا / عشتار » ووظائفها في عقائد سكان العراق القدماء :

اود الاشارة هنا . وقبل التعمق في الموضوع . الى انه قد شهد الكثير من الالتباسات والتناقضات ، بسبب الارتجال والابتعاد عن الفهم الموضوعي الدقيق والمنهج الرصين . في النسبة الاكبر من الدراسات التي تناولته من قبل . ورغبة منا في تجنب ذلك من جهة وفي تكوين صورة كاملة - حان اوان - تقديمها للقراء عن الالهة « انانا / عشتار » من جهة اخرى . فقد اثرنا دراسة كل مايتعلق بهذه الالهة . في الاساطير والنصوص الدينية والادبية القديمة . التي يمكننا اعتبارها المصدر الاولي للحصول على معلومات شافية عن مظاهر شخصية هذه الالهة . ومرجع هذا الاعتبار يعتمد على ماينجلي فيها . ضمن احتدام حوادثها وتماس شخوصها . من كوامن اللاشعور . التي تجسد واقع الاعتقاد بحقيقة هذه الالهة وهي في خضم انفعالاتها وظاهر طموحاتها وحوافزها وتصرفاتها . ومن اجل التوصل الى ذلك نحاول فيما يلي من البحث تحليل تلك النصوص والاساطير الخاصة بالالهة « انانا » تحليلاً وافياً . بغية ان نستخلص منها مايساعدنا على فهم نظرة سكان العراق القدماء الى شخصيتها ودورها ووظائفها في عقائدهم وافكارهم . وتلك النصوص هي :

١- اسطورة « انكي وتنظيم الكون » [٤٨]

وهي اسطورة سومرية تكررت الاشارة اليها اكثر من مرة على الصفحات السابقة . ويدور موضوعها الرئيسي حول ماقام به الاله « انكي » . من تنظيم للكون وتوزيع لمسؤوليات ادارته بين الآلهة . وكذلك مايخص علاقة هذا الاله بالآلهة الخالقة الأخرى . وتفاصيل شعائر عبادته في بلاد سومر . وقد ورد فيها انه بعد ان انتهى الاله « انكي » من تقرير مصائر بلاد سومر والبلدان الاخرى . اتجه الى نشر الخصوبة في الارض وتنظيم مجاري الانهار فيها وتحديد معالمها الطبيعية . وعين عددا من الآلهة والالهات للاشراف على شؤونها . الا انه فوجيء بعد ذلك بعتاب قاسٍ من الالهة « انانا » . بسبب ما ادعته من حيف لحق بها لعدم منحها كل ما تطمح اليه من سلطات ومسؤوليات توازي ما حصلن عليه الالهات الاخريات . وفي مقدمتهن الالهة « ننخرساك » (آرورو) اخت الاله « انليل » . وكذلك اخوات الالهة « انانا » نفسها وهن كل من « نن -اسينا » (كولا) . « ننمك » (Ninmug) . « نيدابا » (Nidaba) و « نانشة » (Nanše) . اللواتي حظين بالامتيازات الرفيعة المناسبة لمكانتهن وتسلمن رموز السلطات الخاصة بكل منهن ، وكما هو واضح فان الالهة « انانا » . تبدو هنا بمظهر الأنثى الغيورة . صاحبة المشاعر المرهفة . التي لا تطيق ان يهمل احد ارضاءها . أو معاملتها بطريقة لا تقترب من معاملته لالهات يفقنها مكانة وسلطة . وازاء ذلك لم يستطع الاله « انكي » الا ان يقف موقف المدافع عن نفسه ضد تقريعها له مبيناً لها ان مانالته من امتيازات - سنأتي على شرحها فيما بعد - كثير عليها . ثم تنتهي الاسطورة بترتيلة مكونة من اربعة أسطر موجهة الى الاله « انكي » .

٢- اسطورة « انانا وانكي : انتقال نواميس الحضارة من اريدو الى اوروك » [٤٩] :

وتذكر هذه الاسطورة السومرية ان الالهة « انانا » قد تملكتها الرغبة الشديدة لان تزيد من مجدها ومجد مدينتها « اوروك » (الوركاء) . وتعلي من شانها بجعلها مركزاً للمدينة السومرية . لا يسكن ان يضاهيه مركز آخر . وهي مدفوعة لذلك بتعطشها للشهرة والمقام الرفيع . ولا تتورع في سبيله عن منافسة اله بمكانة الاله « انكي » . الذي كانت بعهدته جميع النواميس

المقدسة – وهي النواميس التي اصطلح في السومرية على تسمية الواحد منها باسم « مـي » (ME) وبالاكدية « فرض » (parsu) . ويرمز كل منها الى عنصر من عناصر الحضارة – في مدينة « اريدو » (مركز المدينة السومرية القديم) . وبالفعل قررت الالهة « انانـا » ان تنقل تلك النواميس الى « اوروك » لتنجح في تحقيق ما عزمت عليه . ونتيجة لما اتصفت به هذه الالهة . من اعتداد بالنفس وثقة شديدة في الحصول على ما تريد . فقد توجهت الى بيت الاله « انكي » في « اريدو » لتحصل . باية طريقة كانت . على النواميس المقدسة . ودون ان تظهر اي تردد عن الاقدام على هذه المغامرة او تحمل المخاطر واصلت تنفيذ ما قررته بعناد شديد ودخلت الى بيت الاله « انكي » . وهناك بدات باظهار مقدرتها على الاغواء . مبدية ماهي عليه من ذكاء شديد وقدرة فائقة على المراوغة والاغراء . اللذين لا يمكن لاحد ان يسلم من تاثيرهما حتى وان كان اله الحكمة « انكي » نفسه . الذي انصاع لتاثيرها واقام لها وليمة حافلة بالطعام والشراب اقتصرت عليهما فقط . في حين كان رسوله المسمى « ايسمود » (Ismud) يقوم بخدمتهما . وراحت « انانـا » تنادم ذلك الاله الموصوف بالحكمة . وتحضه على المزيد من الشراب حتى فعلت النشوة فعلها به . وكانت تلك هي فرصة « انانا » السانحة لكي تطلب منه النواميس الالهية . وهنا لم يجد « انكي » في نفسه القدرة على رفض طلب « انانـا » . بسبب ماغلبه من اغوائها فقدم لها النواميس باجمعها وحملتها معها في « قاربها السماوي » وغادرت متجهة الى « اوروك » تاركة ذلك الاله الكبير ثملا في نشوته . وما ان صحا حتى هب متفقدا النواميس الالهية ليروع بحقيقة اختفائها . وحين طلب من رسوله « ايسمود » ان يوضح له الأمر . اخبره الأخير بكل ماحدث . مما اثار غضبه الشديد واعلن تصميمه على منع « قارب السماء » المحمل بالنواميس الالهية من الوصول الى « اوروك » بكل مايستطيعه من جهد . ولتنفيذ قراره هذا بعث رسوله برفقة مجموعة من الوحوش البحرية المفزعة . لملاحقة « انانا » وقاربها والامساك بها في المرحلة الاولى من مراحل توقفها السبع في الطريق بين « اريدو » و « اوروك » . وقد امرهم بان ياخذوا « قارب السماء » . ويستعيدوا النواميس التي على متنه . ويتركوا الالهة تواصل رحلتها مشيا على الأقدام . والملاحظ في هذه الاسطورة ان الالهة « انانـا » تبدو في منتهى الجراة باقدامها على سلب النواميس الالهية . والذهاب بها الى « اوروك » يملؤها الاصرار على مواصلة مغامرتها حتى النهاية . دون وجل مما سيتبع ذلك من آثار تحمل في طياتها عواقب خطيرة عليها وعلى مدينتها .

ولما تمكن الرسول « ايسمود » من اللحاق بالالهة « انانـا » في قاربها . اخبرها بما امره به سيده . ولكنها ما ان سمعت كلماته حتى تملكها الغضب الشديد وتلفظت بكلمات قاسية وهي تعيب على الاله « انكي » تراجعه عن وعده لها بتمليكها للنواميس الالهية . وهنا تبدو واضحة وقاحة الالهة « انانـا » وسلاطة لسانها ثم انها استعانت برسولها « ننشوبر » الذي ساعدها في الخلاص من « ايسمود » والوحوش التي ترافقه . الا ان الاله « انكي » أمر رسوله واتباعه بان يواصلوا مطاردة الالهة في كل مرحلة من مراحل توقفها . وكانوا في كل مرة يخفقون في الامساك بها نتيجة لتدخل رسولها « ننشوبر » . وهكذا حتى تمكنت الالهة أخيراً من الوصول الى « اوروك » . وانزلت النواميس المقدسة فيها وسط تهاليل السكان وترانيمهم بحمدها . ونلاحظ هنا أنه بالرغم من خرق الالهة « انانـا » للعرف الالهي . وخداعها لاحد الالهة الرئيسة . وسرقتها للنواميس الالهية بما يتضمنه ذلك من مخالفة لمقررات الالهة . الا ان هذا لم يكن قد اثر على قدسيتها ومكانتها عند السكان . الذين عبروا عن تبجيلهم لها بالترانيم الموجهة بحمدها . دون ان يحاولوا ولو شكلياً تفسير مخالفتها هذه لاوامر الآلهة الكبار . وفي الوقت نفسه لم يشعروا ان في ذلك مايسيء الى الوهيتها . فهي في نظرهم ليست سوى الهة مقدسة . رغم ماترتكب من اعمال سيئة واخطاء لايمكن الا ان تكون مقدسة بدورها قدسية الالهة التي نفذتها . ومن هنا فان من الواجب علينا ان لاناخذ الابتهالات والترانيم الدينية الموجهة للالهة « انانـا » – او الى اي من الالهة الآخرين على وجه العموم – مأخذ المصدر الموثوق به في تقرير مكانة هذه الالهة ودورها في العقائد القديمة مالم يكن هناك ما يسندها في النصوص والاساطير الاخرى .

٣ – اسطورة « انانـا » و « شوكاليتودا »

ويسطر الالهة « انانـا » في بطولة هذه الاسطورة السومرية . رجل من البشر كان يعمل بستانيا في بلاد سومر . ويدعى « شوكاليتودا » (Shukalletuda) الذي عانى طويلا من الفشل في عمله . اذ لم تكن تفلح جهوده في العناية ببستانه . وكانت مغروساته سرعان ماتذبل وتموت . ولم يكن يجني من بستانه سوى « غبار الجنب » كما تروي الاسطورة . واخيرا التجا الى السماء وتطلع الى الابراج . وراح يدرس اشارات الفلك ويدقق بعناية في القرارات الالهية . ونتيجة لما ناله من حكمة في ذلك قرر القيام بزراعة شجرة تدعى « صرباتو » (Sarbatu) في بستانه للانتفاع من ظلالها التي تبقى طيلة النهار . في حماية زرعه من حرارة الشمس المحرقة . وهكذا افلح في جعل البستان يزدهر بمغروساته .

وتروي الاسطورة انه حدث في احد الايام ان كانت الالهة

« انانا » تمر بالقرب من بستان « شوكاليتودا » وهي متعبة . بعد قيامها برحلة طويلة عبرت فيها السماء والارض . فآثرت ان تريح جسدها المتعب في ظل الشجرة الباسقة الظلال . وفيما كانت الالهة تغط بسبات عميق دنا منها « شوكاليتودا » وتسلل اليها وضاجعها . منتهزا فرصة اغفائها العميقة . وكما هو ظاهر من سياق احداث هذه الاسطورة . فان الالهة « انانا » تمثل هنا الانثى المغرية على الوصال الجنسي والمثيرة لغرائز الذكر . كما انها وبسبب من انوثتها تلك . كانت فريسة سهلة المنال بسبب نقاط الضعف والانهاك عليها . بحيث لم تنتبه لـ « شوكاليتودا » وهو يضاجعها . ولم تشعر بما حدث لها الا بعد ان طلع النهار . ولكنها كما تذكر الاسطورة لم تستطع معرفة الجاني الذي ترفعت ان لا يكون الا واحدا من البشر . وهنا تفجر غضبها وقررت ان تقبض على هذا الرجل الذي اغتصبها مهما كلف الأمر . ورأت ان سبيلها الى ذلك هو ان تسبب الاذى بكل بلاد سومر حتى تمسك به . وهنا تعرفنا الاسطورة على مظهر آخر من مظاهر شخصية الالهة « انانا » . ذلك هو مظهر الانثى الغضوب القاسية التي لا تعرف حداً لغضبها ولا تتورع عن الانتقام حتى من الذين لم يسببوا لها الاذى . وتستمر الاسطورة فتذكر بان الالهة « انانا » قامت لتحقيق غرضها بتسليط ثلاثة اوبئة على البلاد . اولها هو انها ملأت جميع الآبار بالدم مما ادى الى ان تتشبع كل بساتين النخيل والكروم بالدماء . وثانيها هو توجيه الرياح العاتية والزوابع المدمرة على البلاد . اما الوباء الثالث فلا يمكن معرفته لوجود خرم في النص . وعلى العموم لم تساعد كل هذه الاجراءات « انانا » في الامساك بالرجل الذي اغتصبها . اذ ان هذا الاخير قد التجا حين شعوره بالخطر الى بيت ابيه واعلمه بالخطر المحيق به . فنصحه ابوه بالذهاب الى اخوته « ذوي الرؤوس السوداء » (اي سكان بلاد سومر) والبقاء بالقرب من مراكز المدن . ويبدو ان القصد من وراء ذلك هو أن يختفي « شوكاليتودا » في المراكز الكثيفة السكان . وفعلاً يتبع هذا الاخير نصيحة أبيه ويتمكن بالتالي من الافلات من عقاب الالهة « انانا » التي عزمت . بعد يئسها من الامساك بالرجل الذي اغتصبها . على الذهاب الى « اريدو » حيث يوجد بيت الاله « انكي » . اله الحكمة السومري لتسأله النصح . ثم ينخرم النص . والذي يهمنا من هذه الخاتمة هو ذلك الضعف الانثوي الذي يعاود الالهة « انانا » في نهاية الاسطورة . حين لم تستطع الامساك بمغتصبها وتفشل في مداراة غضبها والخروج من الحالة العصبية التي تسيطر عليها . فتحمل همومها وتذهب الى اله الحكمة « انكي » لتتلمس منه تلطيفاً لحالتها على ما يبدو .

٤- « كـلكـامش وانكيدو والعالم الاسفل » (١٥) :

تبتديء هذه القصيدة السومرية بمقدمة تتألف من فقرتين مختصرتين . لا علاقة لهما بـ « كَلكَامش » ولا باحداث القصة التي ترد في النص . وتتصل الفقرة الاولى باعمال الخلق الالهية بما في ذلك فصل السماء عن الأرض . أما الفقرة الثانية فتصف الصراع بين الاله « انكي » والوحش الخرافي « كر » (Kur) .

وبعد هذه المقدمة تبدأ الاسطورة التي تروي كيف ان الرياح الجنوبية قد اقتلعت . في قديم الزمان . شجرة الـ « خلوبـو » (ḫuluppu) من على ضفة نهر الفرات والقتها بعيداً عن مياهه . وهناك عثرت عليها الالهة « انانـا » بطريق الصدفة فاخذتها الى مدينتها « اوروك » . وغرستها في بستانها وظلت ترعاها بعنايتها لكي تصنع من خشبها—بعد ان يكتمل نموها—عرشاً وسريراً لها .

وهكذا نجد في الالهة « انانـا » هنا تلك الفتاة ذات النزعة الحالمة والتي ينصب تفكيرها على ما ستنجزه في المستقبل . الا أن تقديرها لم يكن صائبا اذ انه حدث . بعد ان نمت تلك الشجرة . ان اختارت الأفعى التي لا تؤثر فيها التعاويذ موضعا لعشها بين جذورها وجاء طير الـ « امدوكـود » (Imdugud) المتوحش بصغاره على قمتها . وفي وسطها شيدت الجنية المعروفة بأسم « ليليث » (Lilith) —مصاصة الدماء—مأواها . وهنا يمكننا ان نستخلص بأن هذه الاسطورة قد أبرزت جانباً آخراً من جوانب شخصية « انانـا » . ذلك هو انها كانت سيئة التدبير لعدم تمكنها من الحيلولة دون الاستيلاء على شجرتها من قبل تلك المخلوقات المتوحشة . كما انها لم تملك ازاء ذلك . كما تذكر الاسطورة سوى ان تذرف الدمع السخين وقد ملأتها الحسرة . وهي الالهة التي كانت كما تصفها الاسطورة لا تعرف الهم والأسى .

وما ان طلع النهار وأشرق اخوها الاله – الشمس « اوتو » حتى أخبرته الالهة « انانـا » باكية بما حل بشجرتها . وهي تنحو في ذلك منحى من غلبها الضعف واسقط في يدها دون ان تتمكن من عمل أي شيء لطرد تلك المخلوقات من الشجرة سوى الاستنجاد بأخيها الذي لم يفعل شيئاً لنصرتها . وحولت شكواها الى « كَـلكَـامش » . فهب لنجدتها متسلحاً بفأسه . وهجم على الافعى فذبحها مما أدى الى اثارة رعب طير الـ « امدوكَـود » وجعله يطير هارباً بصغاره الى الجبال البعيدة . كما آثرت الجنية « ليليث » الهرب الى الخرائب المهجورة تاركة مسكنها . ثم ان « كَلكَـامش » قام بمساعدة عدد من رجال الوركاء بقطع الشجرة وقدمها الى « انانـا » لتصنع منها عرشاً وسريراً لها . وفي محاولة من الأخيرة للتعبير عن امتنانها لـ « كلكامش » صنعت له آلتي « بكو » و « مكو »

(اللتين قد تكونان طبلاً ومضربه) من قاعدة الشجرة ومن تاجها . وهي تسلك بهذا سلوك الفتاة الرقيقة المشاعر التي تحرص على مبادلة الآخرين مشاعر الوفاء وترد لهم جميل افعالهم نحوها ولكنها كانت اضعف من أن تسيطر على نتائج عملها العثري هذا أو لربما كانت تضمر في طويتها خلاف مايظهر . اذ أن هديتها الى « كلكامش » كانت نذير شؤم على سكان « اوروك » . ذلك أنه استخدم ذانيك الـ « بكو » والـ « مكو » في استدعاء الرجال للحرب مسبباً في ارسالهم لحتوفهم . مما جعل العذارى والأرامل يضججن بالدعاء على « كلكامش » وآلتيه . لما تسببان لهن من حزن . ونتيجة لادعيتهن تسقط تانيك الآلتين الى العالم الأسفل (عالم الأموات) . وتستمر الاسطورة بعد ذلك في وصف نزول « انكيدو » الى ذلك العالم . من اجل استردادهما ، وبقائه هناك بطريقة مشابهة لما ورد في اللوح الثاني عشر من « ملحمة كلكامش » .

٥- الاساطير والقصائد السومرية الأخرى المتعلقة بالالهة « انانا »

ومن بين هذه الاساطير نذكر اسطورة « نزول انانا » الى العالم الأسفل التي لانعرف الباعث فيها على نزول « انانا » الى ذلك العالم . اذ لا تفصح عنه الرواية السومرية للاسطورة . وان ورد فيها تبرير على لسان « انانا » نفسها بأنها جاءت لحضور مراسم جنازة الاله « كوكال – انا » (Gugal-anna) زوج الالهة « ايرش – كيكال » (Eresh-kigal) الهة العالم الاسفل والاخت الكبرى لها . وبالطبع لم يكن هذا التبرير الا مخادعة منها لكبير بوابي العالم الأسفل . اذ أن سياق الاسطورة نفسها ينفي صحته . ويمكن القول أن السبب في نزول الالهة « انانا » الى العالم الاسفل لم يكن سوى طموحها وتهورها ورغبتها في فرض سلطتها على العالم الاسفل . وهي دوافع لم تكن خارجة عما اوردناه عن شخصيتها على الصفحات السابقة . ويبدو أن الالهة « ايرش– كيكال » كانت على غير استعداد لأن تسمح لـ « انانا » بمنافستها . ولذا هيأت لها استقبالاً كانت نتيجته ان اقتيدت « انانا » لتمثل عارية في حضرة « ايرش – كيكال » . حيث ثبت عليها آلهة « الانوناكي » الموجودون في ذلك العالم نظرات الموت وحولوها الى جثة هامدة علقت على وتد ويبدو من اجابة كل من الالهين « آنو » و « انليل » لوزيرها « ننشوبر » حين طلب منهما مساعدته في انقاذها . مايدل على استهجانهما لتصرفاتها الطائشة . ذلك الاستهجان الذي دفعهم الى رفض مد يد العون لهــا .

ولابد لنا هنا من الاشارة الى القصائد والاساطير السومرية الأخرى التي تدور مواضيعها حول خطوبة الالهين « دموزي »

و « انانا » . ولقاءاتهما الخفية عن عيون الرقباء . وخوف « انانا » من ان يعلم اهلها بمغامراتها مع « دموزي » الذي خبر تمنعها ودلالها عليه . كما اننا نجده في احدى القصائد وهو يعلمها كيف تصوغ الاكاذيب على امها حين تتأخر معه عن عودتها الى بيتها في الليل . اذ يرشدها الى ان تقول لامها بانها قضت الليل مع صديقتها في الساحة العامة . وبذلك يستطيعان التنعم بممارسة الحب لوقت أطول في ضوء القمر بدون وجل كما ورد في القصيدة

وهناك قصيدة سومرية اخرى تصور فرحة الالهة « انانا » وسعادتها حين أخبرها الاله « دموزي » بعزمه على التقدم لخطبتها من أهلها [٥٢] . وعموماً تؤدي الالهة « انانا » هنا الدور الكامل للفتاة المراهقة المتلهفة للقاء حبيبها خفية عن رقابة اهلها . تلك الفتاة التي لم تستطع كتم فرحتها حين يعلمها « دموزي » بعزمه على خطبتها كما اننا نجدها متلبسة في ذلك كله بمسحة من الشبقية والرغبة الجنسية الواضحة من خلال أسطر هذه القصائد .

وتوجد قصيدة سومرية نشرت ترجمتها في السنوات الأخيرة يتضمن موضوعها مشادة كلامية بين الالهين « دموزي » و « انانا » التي تتفاخر بنسبها الرفيع . وتنتقص من مكانة « دموزي » بسبب عدم انحداره من نسل يضاهي النسل الذي انحدرت هي منه . وتبين سموها عليه بقولها بأنه لولا امها الالهة « ننكال » (Ningal) وأختها « سيدة القصب المقدسة » وابوها الاله–القمر « سين » (sin) لظل هو (أي « دموزي ») متشرداً في الدرب والسهل لا قيمة له . ولا يملك حتى غطاءاً على رأسه . فيحاول الاله « دموزي » تهدئتها مخبراً اياها بأنه يقتضي منها ان تعتبر اباه « انكي » مثل ابيها « سين » وأمه « سرتر » (Sirtur) مثل امها « ننكال » واخته « كشتن–انا » مثل اختها . وهو مثل اخيها « اوتو » . وتنتهي القصيدة بالاشارة الى ان تلك المشادة قد انتهت بخير وانها لم تزد سوى الى تأجج عاطفة الحبيبين ومشاعرهما . والذي يهمنا من هذه القصيدة هنا هو اتضاح جانب آخر من جوانب شخصية الالهة « انانا » وهو الجانب الذي نراه يبرز دائماً عند الفتيات القليلات النضوج . ويتمثل عموماً في تعاليهن وتهورهن واستصغارهن شأن الآخرين . اضافة الى تفاخرهن الساذج بعائلاتهن وانسابهن .

والواقع ان هذا العرض التحليلي يقودنا الى ثلاث حقائق . لا أظنها قد خفيت على ادراك القاريء الكريم من خلال مطالعته للصفحات السابقة . وهي حقائق ما كان بامكاننا التوصل اليها من دون تحليلنا للأساطير والنصوص الأدبية الآنفة الذكر . اذ لولا ذلك لكنا قد وجدنا نفسنا في مدار اطلاق التعميمات واجترار الآراء السابقة . أو اللجوء الى ديانات أخرى مثل الديانة الاغريقية الواضحة الاسس والعقائد لنكيف . كما فعل بعض الباحثين قبلنا .

شخصية الالهة « انانا » لكي تتطابق مع احدى الالهات البارزات فيها . بما في ذلك من اغفال لبديهية لابد منها في البحث الاكاديمي الجاد . وهي ان لا يحق لنا ان نطابق بين شخصيتين لاهوتيتين . أو فكرتين في ديانتين مختلفتين . او حتى ان نقارن بينهما مالم نكن قد وفينا كل منهما حقها في البحث والاستقصاء على حده اولاً . وازلنا اكبر قدر ممكن من الغموض اذا كان يكتنف احداهما . وما يخرج عن هذا لايمكن النظر اليه الا بأنه مجرد تخمينات لاتقوم على أساس . والحقائق الثلاث التي انتهينا اليها من تحليلنا الوارد على الصفحات السابقة . لما يخص الالهة « أنانا » في الاساطير والنصوص الادبية القديمة هي كما يلي :

اولاً : ان الالهة « أنانا » لم تقم في أي من تلك النصوص بدور الالهة الأم . ولم تعرض في أي منها بمظهر يمكن القول عنه أنه من مظاهر الالهة الأم.

ثانياً : ان هذه الالهة كانت بمثابة تجسيم كامل ومضخم لكل صفات الانثى وقابلياتها ومداركها ودوافعها الباطنية وغرائزها. ويمكن ايراد مااستخلصناه آنفاً بشكل مركز هنا . حيث اتضح لنا أن « أنانا » كانت مثال الانثى الغيورة . المرهفة المشاعر . المحبة للظهور . المعتدة بنفسها . الواثقة من الحصول على ماتريد. المغامرة العنيدة . السليطة اللسان . وصاحبة القدسية رغم كل ما تفعله بوحي من طبعها وميولها . كما انها تمثل الانثى المغرية والمثيرة للغرائز وصاحبة الانوثة الشديدة . وفي نفس الوقت فهي الغضوب القاسية التي لاتعرف حداً لغضبها حين تستفز . وقد لاتطيق احياناً حتى مشاعرها المهتاجة فتبذل جهداً يائساً في محاولة مداراتها . وهي تظهر لنا في حالات أخرى بمظهر الفتاة ذات النزعة الحالمة . ولكنها مع ذلك سيئة التدبير وتنحو منحى اية امرأة ضعيفة حين تحيق بها الهزائم فلا تجد ما تتعامل به سوى الدموع والبكاء . ونجدها في احوال أخرى رقيقة المشاعر . تحرص على مبادلة الآخرين مشاعر الوفاء ولكنها تبقى اضعف من أن تسيطر على نتائج أعمالها . ونضيف الى هذا كله طموحها الطائش وتهورها . ورغبتها الملحة في فرض هيمنتها على الآخرين واغتصاب امتيازاتهم . كما انها تبدو في حالات معينة مراهقة شبقية منجرفة وراء رغباتها . وغير بعيدة عن التصرفات الهوجاء الساذجة مثل التشدق بالنسب الرفيع .

وتفسيرنا لجميع كل هذه الصفات المتغايرة في شخصية الالهة « أنانا » يتضح مما ذكرناه آنفاً من انه كان ينظر اليها على انها تجسد كل صفات المرأة . وهي تجمع كل جوانب شخصية المرأة بايجابياتها وسلبياتها . والمرأة كما رآها سكان العراق القدماء أكثر حدية وتطرفاً من الرجل في كل من الجانبين الايجابي والسلبي . او الرقيق والمهتاج . فالمرأة تنساق لعواطفها أكثر من الرجل . وهي أقل قدرة منه في السيطرة على انفعالاتها . وهذا ما ارتبط في أذهانهم . وبشكل مضخم . بالالهة « أنانا » . فجعلوا منها تجسيداً لكل الحالات العقلية والغريزية التي تمر فيها المرأة .

ثالثاً : اضافة الى ان الالهة « أنانا » كانت تجسد الحالات التي تمر فيها المرأة . والتصرفات التي تبدر عنها بشكل مضخم . وهو ما اميل الى تسميته بالتجسيد العمودي لكونه يغور في نفس المرأة الى أعماق انفعالاتها . فانها كانت وفق ما أعتقد سكان العراق القدماء تمثل تجسيداً آخراً للمرأة . اسميه هنا التجسيد الأفقي . وأقصد به ما عرف عن هذه الالهة – من خلال تحليل النصوص السابق ذكرها – من تجسيد لدور الانثى في ثلاث من أخطر مراحل الحياة هي :

١– المرحلة الاولى : وهي مرحلة المراهقة بكل ما يميزها من سمات عضوية وطبيعية ونفسانية . ومن أبرز النصوص التي تتناول هذه المرحلة تلك التي تدور مواضيعها حول الفترة التي سبقت خطوبتها للاله « دموزي » وغرامها به . ومن ثم ارتباطهما بالخطوبة التي سبقت الزواج .

٢– المرحلة الثانية : مرحلة الزواج والنضوج وقد بدت فيها الالهة « انانا » كما اوضحناقبل قليل . اكثر خبرة بالحياة وبالتلاعب بالآخرين وخداعهم . وتبدو خلالها اكثر اعتداداً وثقة بنفسها . والى هذه المرحلة نرجع ما بدر عن « انانا » من اعمال في بعض من أهم الاساطير التي تخصها . مثل اسطورة «نزول اناناالى العالم الاسفل »–الرواية السومرية–التي سبقت الاشارة اليها .

٣– المرحلة الثالثة : وهذه المرحلة هي أهم المراحل التي جسدتها الالهة « انانا » . اذ انها شغلت عدداً مهماً من النصوص التي تخصها . كما انها احتوت كل العقيدة السامية (الأكدية) الخاصة بالالهة « انانا / عشتار » في العراق القديم . وأقصد بها مرحلة الترمل . وهي المرحلة التي كانت هذه الالهة تمثل فيها الأرملة اللعوب . التي بعد ان تسببت في ارسال زوجها « دموزي » (تموز) الى العالم الآخر . تظاهرت (اوقد تكون شعرت فعلاً) بالندم على فعلتها تلك في اول الأمر . الا انها رأت في وضعها بعد اختفاء زوجها خيرما يناسبها من حيث الاهتمام بنفسها وبرغباتها . فاخذت تتنقل من عشيق الى آخر لتلبي رغباتها الجنسية دون أن تبالي بشيء بعد ان تخلصت من الزوج الذي كان يحد من تصرفاتها هذا فيما يخص تجسيدها للأنثى وحياتها واعمالها وتصرفاتها .

أما بخصوص واجباتها ومسؤولياتها الالهية . والتي لم تكن تصرفاتها ورغباتها تعيق اداءها لها . حيث انها كانت رغم كل شيء الهة مقدسة في نظر السكان وان جسدت جوانب خارقة للقيم الاخلاقية .

الا انه كان لها ما يبررها من حوافز جسدية ونفسية وعاطفية . كما اننا يجب ان نضع في اذهاننا ان الآلهة . وأن اتوا ببعض ما يشبه البشر في تصرفاتهم . الا انهم يبقون خارج دائرة المقاييس والأحكام البشرية . ولذا فمن الطبيعي ان تكون واجبات الالهة « انانا » ومسؤولياتها بمعزل عن تصرفاتها . وعما تمثله في تلك التصرفات من تجسيد للمرأة في خيرها وشرها . أو بتعبير آخر ان ماكانت تجسده هذه الالهة شيء . وواجباتها الالهية شيء آخر . الا ان هذا لا يعني انه كان هناك انفصال تام بين الاثنين : التجسيد والواجبات . اذ ان الواجبات لا تكون الا متوافقة مع التجسيد في حين لا يكون التجسيد الا بوحي من الواجبات . اما وقد كنا شرحنا بتفصيل دقيق ما تجسده الالهة « انانا » في العراق القديم فقد حان الوقت للحديث عن واجباتها الالهية ومسؤولياتها .

لقد وضحنا فيما سبق من البحث ان الالهة « انانا » كانت تجسيداً للمرأة في جميع احوالها الايجابية والسلبية . باستثناء حالتين أو وظيفتين خطيرتين هما الانجاب والأمومة اللتين كانتا من مسؤوليات الالهة الأم « ننخرساك » . وبينا ايضاً تفسيرنا للسبب الذي جعل سكان العراق القدماء يفصلون بين هاتين الوظيفتين الاساسيتين للمرأة عن حالاتها الاخرى و ينسبونها للالهة الأم ومن هنا فقد أصبح من المنطقي ان تنسب للالهة « انانا » وظائف تنسجم مع مكونات شخصيتها . ومع تجسيدها للمرأة . او بالأحرى الوظائف التي تخص المرأة فيما ليس له علاقة بالانجاب والأمومة . مثل بعض المهن البسيطة التي تقوم بها المرأة . وكذلك بعض الفعاليات الملقاة على عاتقها . ومسؤولية تمثيل ما ينتظر من المرأة في العلاقات الانسانية عموماً . وما نذكره هنا ليس استنتاجاً يفرضه المنطق وانما ورد في بعض النصوص المهمة واوضحها وأشملها الاسطورة السومرية « انكي وتنظيم الكون » التي سبقت الاشارة اليها . ففي هذه الاسطورة تحدد الواجبات الحقيقية بأكملها لعدد من الالهة والالهات ومن بينهم « انانا » . التي يعلن الاله « انكي » عن واجباتها بوضوح كامل . وذلك في معرض رده على شكوى « انانا » ولومها له بسبب ما ادعته من تفضيل الالهات الاخريات عليها حيث يقول لها :

«انليل ...
قد زين لك .
وجعلك ترتدين هناك ثوب « قوة الفتى الشاب »
وأنت هيمنت على الكلمات التي ينطق بها « الفتى الشاب »
وأشرفت على العصا والصولجان والمحجن .
فماذا نزيد على كل هذا أيتها العذراء « أنانا » ؟
وأنت التي تجيبين على أسئلة السائلين عما يخص الحروب والغزوات .
وأنت التي تجدلين الخيط المستقيم .
وأنت . أيتها العذراء « انانا » . عدلت الخيط المفتول فاصبح مستقيماً .
وفصلت الاردية ولبست الاثواب .
ونسجت نسيج الـ mug ولففت الوشيعة .
في ... ك صبغت خيط الـ ... بالالوان المتعددة .
يا « انانا » أنت ...
يا « انانا » أنت حطمت ما لا يتحطم واتلفت ما لا يتلف .
وانت أسكت « رق الاحزان » .
أيتها العذراء « انانا » أنت اعدت تراتيم الـ tigi وترانيم الـ adab الى بيتها .
وأنت التي لا يمل المغرمون بها من التطلع اليها [٥٤] .

ان الاسطر الاولى في هذه القطعة توضح حقيقة كون « انانا » الهة للحب والجنس . كما وضحنا فيما سبق من البحث . وهي في ذلك تستقطب طاقة الشباب وتستحوذ على أفكارهم . وهذا ما يتأكد أيضاً من الاسطر الأخيرة في نفس القطعة اذ نفهم منها ان « أنانا » قد جعلت محطاً لأنظار المعجبين بها . ولكونها تجسد المرأة . وتتحمل مسؤولية بعض الواجبات التي اختصت بها المرأة كما اتضح لنا قبل قليل . فمن البديهي ان نجدها مسؤولة عن الغزل . ونسج الثياب . والتفنن في الملابس وانتقاء الازياء . وكذلك صباغة الانسجة . وهذا كله واضح بجلاء في الأسطر الواردة أعلاه من الاسطورة السومرية « انكي وتنظيم الكون » وبهذا الصدد يهمنا ان نسأل اولئك الباحثين – وعلى راسهم الاستاذ « كريمر » – الذين اعتبروا الانجاب والامومة من وظائف الالهة « انانا » . بعد كل الادلة التي قدمناها والتي تنفي صحة هذا الرأي . عن رأيهم في عدم ورود اية اشارة تخص الانجاب والامومة في هذا النص الذي يعدد فيه الاله « انكي » كل وظائف الالهة « انانا » . وهل من المعقول ان تغفل الاسطورة الاشارة الى هاتين الوظيفتين برغم مالهما من خطورة فيما لوكانتا فعلاً من اختصاص «أنانا» ؟

بقي ان نذكر ان هناك اشارة وردت في هذا النص السومري . الذي يحدد دور الالهة « انانا » وسلطاتها . تستحق ان نقف عندها قليلاً . وتلك الاشارة هي التي تخص قدرات « انانا » في اجابة الاسئلة عن الحروب والهجمات . والواقع اننا يجب ان نضع في اذهاننا حقيقة مبدأية تقضي بأن « انانا » لم تكن الهة للحرب في عقائد سكان العراق القدماء . وان الحرب كانت من مسؤولية اله آخر اعتبر الهاً للحرب والصيد – وهو كما يتفق الباحثون – الاله « ننورتا » أو « ننكرسو » (Ninurta, Ningirsu) . ذلك الاله الذي لم تكن له علاقة بالالهة « انانا » . كما ان هذه الالهة لم تزد علاقتها بالحرب عن كونها تملك بعض القابليات التي تخص

شؤون المعركة . كالتنبؤ بها او مباركة انصارها فيها . ونرجع الباعث على وجود هذه العلاقة الى ما تقتضيه الحروب من مستلزمات نفسية . اذ ان افراد الجيش الذاهب الى المعركة بحاجة الى ما يشعرهم بأنهم موضع رعاية وعناية ولا سيما ان يكون مصدر تلك العناية هو الأنثى التي يفتقد المقاتلون وجودها . هذا في نفس الوقت الذي يكونون فيه بحاجة الى ما يبعث فيهم مشاعر القسوة والنقمة على الأعداء . ولذلك فهم بحاجة الى ان لا تكون تلك الرعاية لهم الا غضباً قاسياً ووبالاً على الاعداء . ومن الصعب ان نجد من يجمع هذه الخلال سوية . من بين كل الالهة . سوى الالهة « انانا » . بسبب اعتيادها على المشاعر المتطرفة في الرحمة وفي الغضب كما وضحنا آنفاً . هذا اضافة لما تحتاجه الحرب من مكر ودهاء ومراوغة . وهي صفات كانت « انانا » اقرب من كل الآلهة لاحتوائها كما سبق وشرحناه . اننا بهذا التفسير نختلف مع الأستاذ « ساكز » (H.W.Saggs) في تحليله لتوفر صفتي الحب والحرب عند الالهة « انانا » . حيث انه ارجع سبب ذلك الى عملية توفيق ودمج كانت قد حصلت في العراق القديم بين الديانة السومرية والديانة الأكدية [٥٥] . وهو ما لا نملك بخصوصه أي دليل يوضحه . وعلى العموم فإنه نتيجة لما عرضناه عن علاقة « انانا » بالمعارك والمقاتلين . أصبح بديهياً أن يتجه سكان العراق القدماء لطلب بركتها في الحروب . وهو ما كان معروفاً عند الساميين منهم ولاسيما الآشوريين-المولعين بالحروب-بدرجة اكبر مما هي عليه عند السومريين الذين كانت تغلب عندهم . بالنسبة لهذه الالهة . صفة الحب على صفة الحرب . والحقيقة انه ماكان تطلع السومريين الى بركتها لهم في الحروب الا جزءاً من تطلعهم لبركة سائر الآلهة . اذ ان كل اله . مهما كان شأنه في عقائدهم الدينية . كان ممكناً له ان يساعدهم وقت الحاجة وفق اعتقادهم . وهذا أمر لم يكن مقتصراً عليهم وحدهم وانما يعم في اغلب الديانات . وحتى تمكن ملاحظته في يومنا هذا بشكل مختلف قليلاً . حين يتطلع غالبية الناس الى أي قديس أو ولي من اولياء الله ليقف بجانبهم حين يشعرون بالحاجة الى ذلك . وبهذا فنحن لا نذهب الى ما حاول بعض الباحثين-مثل الدكتور فاضل عبد الواحد علي-الذهاب اليه من ان الالهة « انانا » كانت « الهة الحرب » في مختلف العصور التاريخية . استناداً الى ماحاولوا فهمه من النصوص المسمارية . مثل النص السومري الذي يعود الى الملك « اوتو- حيكال » (٢١٢٠-٢١١٤ ق . م) والذي يقول عنه ذلك الباحث بأنه قد : (ادعى في وثيقة حربه مع الكوتيين ان الالهة « انانا » « لبوة الحرب » هي التي اعطته السلاح لسحق الكوتيين وطردهم من البلاد) [٥٦] ويبدو أن الدكتور فاضل عبدالواحد قد جانب الصواب فيما أورده عن هذه الوثيقة والتي بالحقيقة لم يذكر فيها « اوتو- حيكال » ان « انانا » هي التي اعطته السلاح وانما يقول بأنه قد ابتهل اليها قائلاً :

« يامليكتي : ايتها اللبوة في المعركة . يامن تهجمين على الأقطار (الاجنبية) . لقد امرني انليل باستعادة بلاد سومر فكوني حليفتي (في هذا) ... » [٥٧]

أي أن « اوتو- حيكال » كما هو واضح من النص لم يعلن سوى بأنه قد طلب بركة الالهة « انانا » . وليس بانها هي التي اعطته السلاح كما ادعى الدكتور فاضل عبد الواحد [٥٨] . اما الذي اعطى السلاح الى « اوتو- حيكال » فلم يكن الا الاله « انليل » . كما يذكر في موضع آخر من نفس النص . حين يخبر بذلك الاله « يشكر » أثناء تضرعه اليه طالباً بركته اضافة الى بركة الالهة « انانا » . حيث يرد في النص :

وذهب (اوتو- حيكال) أمام « يشكر » وتوسل اليه : أيها الاله « يشكر » . لقد وهبني الاله « انليل » اسلحة . فكن حليفي (في ذلك) [٥٩]

وقد ازدادت مكانة الالهة « انانا / عشتار » عند الأشوريين . الذين ازدادت حاجتهم الى بركتها نتيجة للحروب الكثيرة التي كانوا يخوضونها . فوثقوا صلتها بالحرب وجعلوها ارجح كفة من صفة الحب والجنس . حتى أنها اصبحت تلقب في عصورهم بانها سيدة الحروب والمعارك [٦٠] . ورسخوا الاعتقاد بانها تسير أمام الجيوش الآشورية وتمنحها بركتها [٦١] . ولكن لما كانت المغالاة في ترجيح كفة هذه الصفة على الصفات الأخرى للالهة لاينسجم والنظرة الراسخة اليها . فقد ظلت تلك النظرة الطارئة مقتصرة على النطاق السياسي . ولم تنتقل الى العقائد الدينية . وهذا هو السبب على ما نرى في عدم وجود شعيرة واحدة ذات صلة بها في بلاد آشور . بدلاً من السبب الواهي الذي يطرحه الاستاذ « ساكز » والذي يرجع فيه ذلك الى ان عبادتها في بلاد آشور كانت متسمة بخصائص « العبادة الغامضة » (Mystery Cult) [٦٢] . وهو قول مبني على الاستنتاج الذي لايستند على أساس واضح من البرهان أو المنطق .

وننهي بحثنا هذا بالاشارة الى ماورد بخصوص الالهة « انانا/عشتار في « ملحمة كلكامش » . ونورد تفسيرنا له بما يتفق مع ما طرحناه من آراء في سياق هذا البحث . فقد سبق وأن أشرنا الى ان الالهة « انانا » جسدت المرأة في ثلاث من أهم مراحل الحياة . وكانت المرحلة الثالثة التي ذكرناها هي تجسيدها للارملة اللعوب التي تنتقل بين العشاق . وكل همها اشباع رغباتها الجنسية . بما يتفق وكونها الهة للحب والعلاقات الجنسية كما وضحنا في حينه . كما

انا ذكرنا بأن هذه المرحلة كانت تشمل كل العقيدة السامية الأكدية بهذه الالهة وانها كانت المرحلة الأخيرة لها . ولذلك فمن الطبيعي أن نجدها تبدو في « ملحمة كلكامش » برواياتها الاكدية والاشورية بهذا المظهر . فهي حين عرضت وصالها على « كلكامش » صدمت برفض هذا الأخير لعرضها . وأكثر من ذلك انه وبخها كائلاً لها الشتائم اللاذعة . وكان من بين ما ذكره هو انها لم تخلص لكل من كانت لها علاقة به . معدداً اياهم واحداً واحداً . وبالطبع كان أول من ذكرهم هو زوجها وحبيب صباها الاله « دموزي تموز » الذي تعاقب من بعده العشاق . وكانت « انانا عشتار » ما ان تشبع رغبتها من احدهم حتى تنتقل الى الآخر . واولئك العشاق هم . كما عددهم « كلكامش » في الملحمة : طير الشقراق المرقش . الأسد . الحصان . راعي القطيع . وأخيراً البستاني ايشولونو »[٦٣] . ومن المؤسف أن نجد أن بعض الباحثين قد عكسوا هذا التسلسل لكي يكون « تموز » هو الأخير من بين عشاق « انانا » برغم ما في ذلك من خطأ فاضح وتحريف لما تضمنه النص . وذلك لأجل ان يثبتوا ان زواج ذينك الالهين كان خاتمة المطاف لمغامرات الالهة «انانا» . وانه كان زواجاً مستمراً بين الاثنين . وهذا ما تنفيه بوضوح لا يقبل الشك النصوص المسمارية التي أشرنا اليها على الصفحات السابقة . ومن هؤلاء الباحثين الذين ذهبوا الى هذا المذهب نذكر الدكتور فاضل عبدالواحد الذي ذكر في كتابه « عشتار ومأساة تموز » (ص ٨٦) بأن : (آخر من ذكرهم كلكامش في تلك القائمة الطويلة هو الاله الراعي دموزي الذي كتب لاسمه ان يخلد عبر العصور وأن يذيع صيته في كل زمان ومكان) . والذي يهمنا ذكره هنا هو أن « كلكامش » لم يكن على ما يبدو مغالياً في هجومه على « عشتار » . اذ ان الاله – السماء « آنو » نفسه قد أيد صحة كلامه . حين ذهبت هي تشكو اليه من « كلكامش » حيث يرد في الملحمة :

« ففتح آنو فاه وقال لعشتار الجليلة :
أنت التي تحرشت فجنيت الثمرة
فعدد كلكامش فحشاءك وعارك ومثالبك »[٦٤]

أما الذي جعل « كلكامش » بالذات يتصدى لفضح الالهة « عشتار » ويعدد مثالبها . بدلا من أن ينعم باغتراف اللذة معها . فهذا ما نرجعه الى حادث معين وقع بينهما ووردت الاشارة عنه في النصوص السومرية . وذلك في الاسطورة المعروفة باسم « كلكامش وانكيدو والعالم الاسفل » التي سبق الحديث عنها، نفهم منها بأن نزول « انكيدو » الى العالم الأسفل كان بسبب هدية « انانا » الى كلكامش وهي آلتي الـ « بكو » والـ « مكو » . وبسبب ذلك حمل « كلكامش » شيئاً من الغيظ وانعدام الثقة تجاه الالهة « انانا » . وحين ترجمت الملحمة ورتبت بقالبها السامي . أظهر هذا الشعور الكامن عند « كلكامش » تجاه « انانا » . دون أن يهتم النساخ الاكديون باعلان دوافعه . لأن المواجهة بين « عشتار » و « كلكامش » في الملحمة حدثت في غير الموضع الذي رجحت فيه هذه الاسطورة السومرية . ونقصد به اللوح الثاني عشر من الملحمة . الذي حدث فيه بعض التغيير عن الاصل السومري : اذ حذفت مقدمة الاسطورة السومرية التي وردت فيها الاشارة الى كون آلتي الـ « بكو » والـ « مكو » هدية من الالهة « انانا » (عشتار) الى « كلكامش » . وبالطبع لم يكن يعقل من النساخ أو المترجمين الاكديين ان يشيروا في اللوح الثاني عشر من روايتهم للملحمة الى مثل تلك الهدية من « عشتار » الى « كلكامش » . لما فيها من تعبير عن الوفاق بينهما . بعد أن كانوا قد اسهبوا في الحديث عن المجابهة الساخنة بينهما . واهانة « كلكامش » للالهة في اللوح السادس من الملحمة . وذلك في محاولة منهم لجعل موضوع اللوح الثاني عشر مكملاً ومتسقاً مع موضوع الاحد عشر لوحاً الاولى من الملحمة ؛ وهذا التغيير هو الذي جعلهم يهملون توضيح السبب الذي ادى الى توجيه الكلام القاسي واللاذع من قبل « كلكامش » الى الالهة « عشتار » في مكانه المناسب مع الاصل السومري للوح الثاني عشر من الملحمة .

نتائج البحث :

ان ماعرضناه على الصفحات السابقة في سياق مناقشتنا للاراء المطروحة بخصوص كون الالهة « انانا عشتار » الالهة الأم في عقائد سكان العراق القدماء . أو بخصوص تحملها بعض مسؤوليات الالهة الأم مثل الانجاب والخصوبة . والاراء التي تقول بانها تمثل مظهراً من مظاهر الالهة الأم . اوضح لنا بأن تلك الاراء لم تكن قائمة على اسس علمية . أو مستندة على أدلة واقعية أو منطقية . وان معظمها كان قائماً على استنتاجات ترتكز على فهم خاطيء لطبيعة عبادة هذه الالهة في العراق القديم . وانتهينا الى ان « انانا/عشتار » لم تكن الالهة الام ولا حتى مظهر من مظاهرها في اي عصر من عصور حضارة العراق القديم . ووضحنا – استناداً على البراهين والحجج التي سقناها – بأن الالهة الأم في عقائد تلك الحضارة لم تكن سوى الالهة « ننخرساك » التي عرفت بالقاب متعددة مثل « ننتو » و « ننماخ » .

أما معالجتنا لما يخص الالهة « أنانا » ودورها في عقائد سكان العراق القدماء فقد جرت في ثلاثة مجالات . فيما يأتي أبعادها : –

١– تحليل شخصيتها والسمات الغالبة عليها . تلك السمات التي طبعت تصرفاتها وسلوكها .

٢– تحليل ماكانت ترمز اليه في افكار سكان العراق القدماء. وما جسدته من عناصر حياتهم وحضارتهم .

٣– توضيح الواجبات والمسؤوليات التي جعلت العقائد الدينية ادارتها من نصيبها .

وقد بينّا أن عبادتها كانت تشمل هذه الابعاد الثلاثة التي يمكن تسميتها بالبعد الشخصي والرمزي والوظيفي . وبخصوص البعد الشخصي فان الالهة « انانا » كانت تمثل الأنثى بكل قابلياتها ومداركها ودوافعها الباطنية وغرائزها . وهي تجمع في شخصيتها كل الحالات الايجابية والسلبية للمرأة . وبعبارة أخرى ان الحالات النفسية التي تمر بها المرأة–باستثناء ما تطرأ عن الحمل والولادة–قد أبرزت وضخمت ثم جسدت بالالهة « انانا » . أما عن البعد الرمزي لها فباستطاعتنا القول . استناداً الى مجمل ما عرضناه عنها . بأنها كانت على وجه الدقة تمثل « الالهة–المراهقة » . ثم « الالهة–المرأة » . وأخيراً وبعد ان تسببت في ارسال زوجها « دموزي » الى العالم الاسفل . اصبحت « الالهة–المرأة–الارملة » المتحررة من قيود الزواج . اي ان الالهة « انانا » كانت رمزاً للمرأة في ثلاث من اهم مراحل الحياة . وهي :

أ– المراهقة ب– الزواج والنضوج ج– الترمل

وقد تمثل البعد الثالث او البعد الوظيفي للالهة « انانا » . في مسؤولياتها . فهي التي كانت تشرف على الحب والعلاقات الجنسية وبعض المهن التي تقوم بها المرأة مثل الغزل ونسج الأقمشة وصباغتها وانتقاء الأزياء . ومن كل ما سبق يتضح للقاريء الكريم ان تلك الابعاد الثلاثة للالهة « انانا » كانت متوافقة فيما بينها ؛ اذ انها تدور في اطار واحد هو « المرأة » . وحين اقول المرأة فانني أقصدها بشخصيتها . وتكوينها النفسي . وبمراحل تطورها العضوي والاجتماعي . واخيراً بالواجبات الملقاة على عاتقها ودورها في الحياة العملية للمجتمع العراقي القديم ..



● الهوامش

(١) طه باقر – مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة جا . بغداد (١٩٧٣) . انظر الصفحات : ١٩٥ . ٢٠٩–٢١٠ . ٢١٦ . ٢١٩ . ٢٣٠ .

(٢) وقد كرر الاستاذ E.O.James قوله هذا في كتابيه الآتيين

(1): Myth and Ritual in the Ancient Near East, (London,1958), p.114.f
(2): The Cult of the Mother Goddess, (London,1959),p.48

(٣) انظر بخصوص ذلك نفس المصدرين المذكورين في الهامش السابق .

(٤) K. Tallqvist (1): "Akkadische Götterpitheta", in STUDIA ORIENTALIA, VII, (Leipzig, 1938), p. 419

(٥) نفس المصدر في الهامش السابق . ص ٢٥٦ .

(٦) انظر بخصوص هذه الاسطورة المصدر الآتي :

S.N. Kramer (1): The Sumerians, (Chicago, 1964) , pp. .173 - 81

(٧) J.E.Zimmerman, Dictionary of Classical Mythology, (New York and London, 1964), p. 170

(٨) انظر بخصوص تفاصيل هذا الزواج المصدر الآتي :

ثوركلديا كوبسن–في : ماقبل الفلسفة . (القاهرة–١٩٦٠) . ترجمة جبرا ابراهيم جبرا . ص ١٨٥ .

(٩) H.Frankfort (1): Kingship and the Gods, (Chicago, 1958),p.293

(١٠) S. Langdon, in the Mythology of all Races, I, (New York, 1964), p.90

(١١) E.D.Van Buren, The God Ningizzida", in IRAQ, I, (London,1934), p.74

(١٢) S.H. Langdon, Op. Cit., p. 91

(١٣) K.Tallqvist (1), p. 407

(١٤) نفس المصدر . ص ٣١٦ .

(١٥) نفس المصدر . ص ٤٠٨ .

(١٦) S.N.Kramer (1): The Sumerians, (Chicago, 1964),,p. 122; and (2): The Sacred Marriage Rite, (London, 1969),,p.168

(١٧) S.N.Kramer(2): p.133

(١٨) بخصوص هذا الموضوع تراجع الاسطورة السومرية المهمة التي سبقت الاشارة اليها . والمعروفة بعنوان « انكي وتنظيم الكون » . واهم مصدر يتحدث عنهـا هو : S.N.Kramer(1): pp. 173-181

(١٩) E.A.Speiser, in ANET., (3rd ed.) p. 108: Rev.6-10

(٢٠) د. فاضل عبد الواحد . عشتار ومأساة تموز . (بغداد-١٩٧٣) ص ٢١ .

(٢١) نفس المصدر/ ص ٣١ .

(٢٢) K. Tallgvist (1),p. 21f.

(٢٣) E.O. James (2), P. 48

(٢٤) K. Tallqvist (1) , p. 3

(٢٥) K. Tallqvist (1),p.6

(٢٦) نفس المصدر . ص ٢١ .

(٢٧) نفس المصدر . ص ٢٢ .

(٢٨) نفس المصدر . ص ٦٤ .

(٢٩) S. N. Kramer (1), p. 180

(٣٠) K.Tallqvist(1), p. [illegible]

(٣١) S.N.Kramer (1),p.174

(٣٢) S. N. Kramer (1) : p. 152

(٣٣) بخصوص العلاقة بين الالهين « انليل » و« ننخرساك » راجع الاسطورة « انكي وتنظيم الكون » في المصدر الآتي : S.N.Kramer (1), p. 168 f.

(٣٤) Ibid., p. 122

(٣٥) Loc. Cit.

(٣٦) ثوركلد ياكوبسن -في: ماقبل الفلسفة . (القاهرة-١٩٦٠) ترجمة : جبرا ابراهيم جبرا ص ١٦٩-١٧٠ .

(٣٧) نفس المصدر . ص ١٦٠

(٣٨) المصدر السابق . ص ١٨٥

(٣٩) S.N.Kramer, in ANET., p. 43: 47-50

(٤٠) راجع بخصوص هذه الاسطورة المصدرين الآتيين : -

١- ثوركلد ياكوبسن -في : ماقبل الفلسفة ، ص ١٩٠-١٩١ .

2- S.N. Kramer (1), p. 149 ff.

(٤١) S.N. Kramer (1), p.147 f.

(٤٢) E.A.Speiser, in ANET., p. 99f.

(٤٣) G.Lambert & A.R. Millard, Atra-Hasis, The Babylonian story of the Flood, (Oxford, 1969), p. 8f.

(٤٤) طه باقر . ملحمة كلكامش . (بغداد-١٩٧٥) ص ٥٨ : اللوح الاول- العمود الثاني ٣٣-٣٥

(٤٥) S.N.Kramer (2), p. 159; Not 47

(٤٦) S.N.Kramer (1), P. 152

(٤٧) Ibid., P.311

(٤٨) راجع بخصوص هذه الاسطورة المصدرين الآتيين :

1- S.N. Kramer (1), pp. 172 Seq.

2- S.N. Kramer (3): Sumerian Mythology, (Philadelphia, 1944), p. 59 ff.

(٤٩) يراجع بخصوصها المصدرين الآتيين :

1- S.N.Kramer (1), pp. 160-2

2- S.N. Kramer (3), p. 64 ff.

(٥٠) راجع بخصوص هذه الاسطورة المصدر الآتي : S.N.Kramer (1), p. 162 f.

(٥١) راجع : S.N.Kramer (1), pp. 198 Seq.

(٥٢) يراجع بخصوص القصائد السومرية التي تدور مواضيعها حول خطوبة الالهين « انانا » و« دموزي » المصدر الآتي : S.N.Kramer (2) ,pp. 250-2

(٥٣) S.N.Kramer (2), p. 72f.

(٥٤) S.N.Kramer (1), p. 183

(٥٥) H.W. Saggs (1): The Greatness that was Babylon, (London, 1962), p. 334

(٥٦) د. فاضل عبدالواحد علي . عشتار ومأساة تموز . ص ٥٠

(٥٧) S.N.Kramer (1), p.325

(٥٨) وقد اعتمد الدكتور فاضل عبدالواحد في ذلك على ترجمة قديمة لهذا النص قام بنشرها الاستاذ (C.J. Gadd) وتتفق مع ترجمة الاستاذ كريمر . راجع

C.J.Gadd, The Sumerian Reading-Book (Oxford, 1924), p. 69:25 andp.71: 46

(٥٩) S.N.Kramer (1), p. 326

(٦٠) CAD., Vol. 2; beltu : p. 189

(٦١) H.W. Saggs (1), p. 333

(٦٢) Loc. Cit.

(٦٣) طه باقر . ملحمة كلكامش . ص ٩١

(٦٤) طه باقر . ملحمة كلكامش . ص ٩٣

* * *